سلسلة الرحلة إلى الثقلين ٣٨



تأليف
السيد جمال محمد صالح





مركز الأبحاث العقائدية



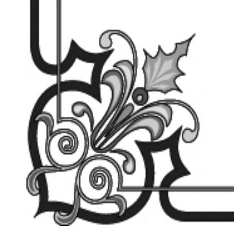
سلسلة الرحلة إلى الثقلين

(٣٨)

في ظلال الغدير

تأليف

السيّد جمال محمّد صالح



مركز الأبحاث العقائدية
إيران. قم المقدّسة. صفائية. ممتاز. رقم٣٤
ص.ب : ٣٣٣١ / ٣٧١٨٥
الهاتف : ٧٧٤٢٠٨٨ (٢٥١)(٠٠٩٨)
الفاكس : ٧٧٤٢٠٥٦ (٢٥١)(٠٠٩٨)
العراق. النجف الأشرف. شارع الرسول ﷺ
شارع السور جنب مكتبة الإمام الحسن عليه السلام
الهاتف: ٣٣٢٦٧٩ (٣٣) (٩٦٤+)
ص.ب ٧٢٩
البريد الإلكتروني: info@aqaed.com
الموقع على الإنترنت: www.aqaed.com

شابك (ردمك) : ٨ - ٥١٦ - ٣١٩ - ٩٦٤ - ٩٧٨

في ظلال الغدير

تأليف

السيّد جمال محمّد صالح

طباعة وإخراج : ضياء الخفّاف

الطبعة الأولى ٢٠٠٠ نسخة

سنة الطبعة ١٤٣٢هـ

المطبعة : ستارة


بسم الله الرحمن الرحيم

دليل الكتاب

مقدّمة المركز

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله ربّ العالمين والصلاة على خاتم
المرسلين محمّد وآله الغرّ الميامين

من الثوابت المسلّمة في عملية البناء الحضاري القويم، استناد الأُمّة إلى قيمها السليمة ومبادئها الأصيلة ، الأمر الذي يمنحها الإرادة الصلبة والعزم الأكيد في التصدّي لمختلف التحدّيات والتهديدات التي تروم نخر كيانها وزلزلة وجودها عبر سلسلة من الأفكار المنحرفة والآثار الضالّة باستخدام أرقى وسائل التقنية الحديثة.

وإن أنصفنا المقام حقّه بعد مزيد من الدقّة والتأمّل ، نلحظ أنّ المرجعيّة الدينية المباركة كانت ولا زالت هي المنبع الأصيل والملاذ المطمئن لقاصدي الحقيقة ومراتبها الرفيعة ، كيف؟! وهي التي تعكس تعاليم الدين الحنيف وقيمه المقدّسة المستقاة من مدرسة آل العصمة والطهارة عليهم السلام بأبهى صورها وأجلى مصاديقها.

هذا، وكانت مرجعية سماحة آية الله العظمى السيّد علي الحسيني السيستاني ـ مدّ ظلّه ـ هي السبّاقة دوماً في مضمار الذبّ عن حمى العقيدة ومفاهيمها الرصينة، فخطت بذلك خطوات مؤثّرة والتزمت برامج ومشاريع قطفت وستقطف أينع الثمار بحول الله تعالى.

ومركز الأبحاث العقائدية هو واحد من المشاريع المباركة الذي أسّس لأجل نصرة مذهب أهل البيت عليهم السلام وتعاليمه الرفيعة.

ولهذا المركز قسم خاصّ يهتمّ بمعتنقي مذهب أهل البيت عليهم السلام على مختلف الجهات ، التي منها ترجمة ما تجود به أقلامهم وأفكارهم من انتاجات وآثار – حيث تحكي بوضوح عظمة نعمة الولاء التي مَنّ الله سبحانه وتعالى بها عليهم – إلى مطبوعات توزّع في شتّى أرجاء العالم.

وهذا المؤلّف – « في ظلال الغدير » – الذي يصدر ضمن «سلسلة الرحلة إلى الثقلين» مصداق حيّ عملي بارز يؤكّد صحّة هذا المدّعى.

على أنّ الجهود مستمرّة في تقديم يد العون والدعم قدر المكنة لكلّ معتنقي المذهب الحقّ بشتّى الطرق والأساليب، مضافاً إلى استقراء واستقصاء سيرة الماضين منهم والمعاصرين وتدوينها في «موسوعة من حياة المستبصرين» التي طبع منها عدّة مجلّدات لحدّ الآن، والباقي تحت الطبع وقيد المراجعة والتأليف، سائلين المولى تبارك وتعالى أن يتقبّل هذا القليل بوافر لطفه وعنايته.

ختاماً نتقدّم بجزيل الشكر والتقدير إلى كلّ من ساهم في إخراج هذا الكتاب ، ونخصّ بالذكر سماحة الشيخ صادق الحسّون الذي قام بمراجعته واستخراج مصادره، والحمد لله ربّ العالمين.

محمّد الحسّون
مركز الأبحاث العقائدية
١٨ صفر ١٤٣١هـ
الصفحة على الإنترنت: www.aqaed.com / Muhammad
البريد الإلكتروني : .muhammad@aqaed.com

إهداء

إلى الرّسول الكريم، ووصيّه بالحقّ

وإلى الزهراء البتول

وابنيها المعلّيين

والتسعة من أسباطه

أُهدي هذا الكتاب...

جمال

ديباجة الكتاب

مرحى عيد الغدير
أو عيد يوم الغدير
عيد يشتمل على كلّ الأعياد
لأنّ فرحته كانت سبقت كلّ الأعياد
وجماله يوزع فوق رمضاء الحرّ والنيران
فأوزعها حسنه الحنون وبثّها بريقه غير الخؤون
فانقلبت مهاداً عامرة وهضاباً تسبح فيها أنسام الباري
سيّما حين أكمل بها الدين فاتمّ بها النعمة وجعلها قمراً
يباري كلّ الأديان ونبعاً يواطن كلّ الأوكار كالشمس حينما لا
ترضى إلّا بسنابل سبعة من حبّات الشمع تنذرها وطناً منيراً
للقرى والحواضر من المدن والأمصار في زمن ما غاب قائده
إلا قرّة لأعين المحرومين من بني الإنسان ورائده
بعثاً لجدود الحقّ من أشياع الأمل المنشور
والمبعوث في ريع جيل من النسور
كي ينير الدرب لصحب يسوع
وموسى مثل الشموع
ولنا من قبل!
ومن بعد
مجداً
يانعاً

الفصل الأوّل

واقعة الغدير

كما اشتقّت من مصادرها التاريخية وبالنصّ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾[1].

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

أجمع رسول الله صلّى الله عليه وآله الخروج إلى الحجّ في سنة عشر من مهجره ، وأذّن في الناس بذلك ، فقدم المدينة خلق كثير يأتمّون به في حجّته تلك التي يقال لها حجّة الوداع، وحجّة الإسلام، وحجّة البلاغ،

(١) المائدة (٥): ٦٧.

(٢) المائدة (٥): ٣.

وحجّة الكمال، وحجّة التمام[1]، ولم يحجّ غيرها منذ هاجر إلـى أن توفـاه الله، فخرج صلّى الله عليه وآله من المدينة مغتسلاً متدهّناً مترجّلاً متجـرّداً في ثوبين صحاريين إزار ورداء، وذلك يوم السبت لخمـس ليـال أو سـت بقين من ذي القعدة ، وأخرج معه نساءه كلّهن في الهوادج، وسار معه أهـل بيته، وعامّة المهاجرين والأنصار، ومن شاء الله من قبائـل العـرب وأفنـاء الناس[2].

وعند خروجه صلّى الله عليه وآله أصـاب النـاس بالمدينـة جُـدَري (بضم الجيم وفتح الدال وبفتحهما) أو حصبة منعت كثيراً مـن النـاس مـن الحجّ معه صلّى الله عليه وآله، ومع ذلك كان معـه جمـوع لا يعلمهـا إلّا الله تعالى ، وقد يقال: خرج معه تسعون ألفاً، ويقال : مائة ألف وأربعة عشر ألفاً، وقيل: مائة ألف وعشرون ألفاً، وقيل: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، ويقال أكثر من ذلك ، وهذه عدّة من خرج معه ، وأمّا الذين حجّوا معه فـأكثر مـن ذلك كالمقيمين بمكّة والذين أتوا من اليمن مع علي أميـر المـؤمنين وأبـي موسى[3].

---

(١) يمكن أن يكون الوجه في تسمية حجّة الوداع بالبلاغ هو نزول قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ** ﴾، الآية كما إن الوجه في تسميتها بالتمام والكمال هو نزول قوله سبحانه: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي** ﴾.

(٢) الطبقات لابن سعد ٢: ١٧٣، دار صادر، بيروت، تاريخ اليعقوبي ٢: ١٠٩، دار صادر، بيروت، إمتاع المقريزي ٢: ١٠٢، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) السيرة الحلبية ٣: ١٣، دار المعرفة ، بيروت.

أصبح صلّى الله عليه وآله يوم الأحد بيلملم، ثم راح فتعشّى بشرف السيالة، وصلّى هناك المغرب والعشاء، ثم صلّى الصبح بعرق الظبية، ثم نزل الروحاء، ثم سار من الروحاء فصلّى العصر بالمنصرف، وصلّى المغرب والعشاء بالمتعشّى وتعشّى به ، وصلّى الصبح بالأثابة ، وأصبح يوم الثلاثاء بالعرج، واحتجم بلحى جمل وهو «عقبة الجحفة» ونزل السقياء يوم الأربعاء، وأصبح بالأبواء، وصلّى هناك ثم راح من الأبواء ونزل يوم الجمعة الجحفة، ومنها إلى قديد وسبت فيه ، وكان يوم الأحد بعسفان، ثم سار فلمّا كان بالغميم اعترض المشاة فصفّوا صفوفاً فشكوا إليه المشي، فقال: استعينوا بالنسلان «مشي سريع دون العدو» ففعلوا فوجدوا لذلك راحة، وكان يوم الاثنين بمر الظهران فلم يبرح حتّى أمسى وغربت له الشمس بسرف فلم يصلّ المغرب حتّى دخل مكّة، ولمّا انتهى إلى الثنيتين بات بينهما فدخل مكّة نهار الثلاثاء[1].

فلمّا قضى مناسكه وانصرف راجعاً إلى المدينة ومعه من كان من الجموع المذكورات ووصل إلى غدير خم من الجحفة التي تتشعّب فيها طرق المدنيّين والمصريّين والعراقيّين ، وذلك يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجّة نزل إليه جبرئيل الأمين عن الله بقوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ** ﴾[2].

---

(١) الإمتاع للمقريزي ٢: ١٠٨.

(٢) المائدة (٥): ٦٧.

وأمره أن يقيم عليّاً علماً للناس ويبلّغهم ما نزل فيه من الولاية وفرض الطاعة على كلّ أحد، وكان أوائل القوم قريباً من الجحفة فأمر رسول الله ﷺ أن يردّ من تقدّم منهم ، ويحبس من تأخّر عنهم في ذلك المكان ، ونهى عن سمرات خمس متقاربات دوحات عظام أن لا ينزل تحتهن أحد حتّى إذا أخذ القوم منازلهم فقمّ ما تحتهن حتّى إذا نودي بالصلاة صلاة الظهر عمد إليهنّ فصلّى بالنّاس تحتهن، وكان يوماً هاجراً يضع الرجل بعض رداءه على رأسه وبعضه تحت قدميه من شدّة الرمضاء، وظلّل لرسول الله ﷺ بثوب على شجرة سمرة من الشمس، فلمّا انصرف صلّى الله عليه وآله من صلاته قام خطيباً وسط القوم[1] على أقتاب الإبل وأسمع الجميع، رافعاً عقيرته فقال:

الحمد لله ونستعينه ونؤمن به، ونتوكّل عليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا الذي لا هادي لمن ضلّ، ولا مُضلّ لمن هدى، وأشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً عبده ورسوله – أمّا بعد – أيّها الناس قد نبّأني اللطيف الخبير أنّه لم يعمّر نبيّ إلّا مثل نصف عمر الذي قبله، وإنّي أوشك أن أدعى فأجيب، وإنّي مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟

قالوا: نشهد أنّك قد بلّغت ونصحت وجهدت فجزاك الله خيراً.

قال: ألستم تشهدون أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّ جنّته حقّ، وناره حقّ، وأنّ الموت حقّ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ

---

(١) انظر مجمع الزوائد ٩: ١٦٤، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت.

الله يبعث من في القبور؟

قالوا: بلى نشهد بذلك، قال: اللهم اشهد.

ثم قال : أيّها الناس ألا تسمعون؟

قالوا: نعم.

قال: فإنّي فرط على الحوض، وأنتم واردون عليّ الحوض، وإنّ عرضه ما بين صنعاء وبصرى[1]، فيه أقداح عدد النجوم من فضّة فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين[2].

فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟

قال: الثقل الأكبر كتاب الله طرف بيد الله عزّ وجلّ وطرف بأيديكم فتمسّكوا به لا تضلّوا ، والآخر الأصغر عترتي، وإنّ اللطيف الخبير نبّأني أنّهما لن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض فسألت ذلك لهما ربّي، فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا.

ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فرفعها حتّى رؤي بياض آباطهما وعرفه القوم أجمعون.

فقال: أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟

قالوا: الله ورسوله أعلم.

---

(١) صنعاء: عاصمة اليمن اليوم. وبصرى: قصبة كورة حوران من أعمال دمشق.

(٢) الثقل، بفتح المثلثة والمثناة: كل شيء خطير نفيس.

قال: إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعلي مولاه ، يقولها ثلاث مرّات.

وفي لفظ أحمد إمام الحنابلة: أربع مرّات.

ثمّ قال: اللّهم والِ من والاه ، وعادِ من عاداه ، وأحبّ من أحبّه، وابغض من أبغضه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله، وأدر الحقّ معه حيث دار ، ألا فليبلغ الشاهد الغايب.

ثمّ لم يتفرّقوا حتّى نزل أمين وحي الله بقوله: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي** ﴾ الآية.

فقال رسول الله صلّ الله عليه وآله:

الله أكبر على إكمال الدين ، وإتمام النعمة، ورضى الرّبّ برسالتي ، والولاية لعلي بن أبي طالب من بعدي .

ثم طفق القوم يهنّئون أمير المؤمنين صلوات الله عليه وممّن هنّأه في مقدّم الصحابة الشيخان أبو بكر وعمر كلّ يقول:

بخٍ بخٍ يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة.

وقال ابن عباس: وجبت والله في أعناق القوم.

فقال حسّان: ائذن لي يا رسول الله أن أقول في علي بن أبي طالب أبياتاً تسمعهنّ.

فقال: قل على بركة الله.

فقام حسّان فقال: يا معشر مشيخة قريش أتّبعها قـولي بـشهادة مـن رسول الله في الولاية ماضية ثم قال:

ينـــاديهم يـــوم الغـــدير نبـــيّهم   بخمٍ فاســمع بالرّســولِ مناديــا

إلى آخر قصيدته.

وإن كان هناك من ناوأ الرسول من قبل ويناوئ في اليوم شيعة أبنائـه ويحشد لمعاداة أسباب هذا الكرم الإلهي فإنّ الله عزّ وجلّ كان قـد واسـى رسوله ودعمه وزاده من قوته وأبان له الأشياء بأوضح صورها فـي سـورة المائدة الآية (٤١): ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هِادُواْ سَمَّاعُونَ لِلْكَـذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِـن بَعْـدِ مَوَاضِـعِهِ يَقُولُـونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُواْ وَمَن يُرِدِ اللّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِـنَ اللّهِ شَيْئًا أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾.

(١) تواتر حديث الغدير
عند أهل السنّة وبشكله المفصّل

هناك تصريحات كثيرة لعلماء السنّة بالنسبة إلى حديث الغدير تؤيّد تواتر حديث الغدير، كما تؤيّد سنده وصحّته ودلالته الواضحة على إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وخلافته المباشرة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ويقول أبو الخير شمس الدين محمّد بن محمّد بن محمّد الجزري الشافعي في حديث الغدير: «تواتر عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، وهو – أي حديث الغدير – متواتر أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، رواه الجمّ الغفير، ولا عبرة بمن حاول تضعيفه ممّن لا اطّلاع له في هذا العلم ، فقد ورد مرفوعاً عن أبي بكر الصدّيق، وعمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقّاص، وعبد الرحمن بن عوف، والعبّاس بن عبد المطّلب، وزيد بن أرقم، وبراء بن عازب ، وبريدة بن الحصيب، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عباس، وحبشي بن جنادة، وسمرة بن جندب، وأنس بن مالك، وزيد بن ثابت»[1].

---

(١) أسنى المطالب: ٤٧، طبعة: طهران ـ إيران.

ويقول حجّة الإسلام الغزّالي: «أجمع الجماهير على متن الحديث من خطبته في يوم غدير خمّ باتفاق الجميع وهو يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه...، » فقال عمر: بخٍ بخٍ يا أبا الحسن لقد أصبحت مولاي ومولى كلّ مولى، فهذا تسليم ورضى وتحكيم ، ثم بعد هذا غلب الهوى لحبّ الرياسة...»[1] .

ولقد صرّح بتواتر حديث الغدير جماعة آخرين من علماء السنّة منهم: القسطلاني[2]، والمنصور بالله[3] .

---

(١) سر العالمين وكشف ما في الدارين : ١٠، لأبي حامد الغزالي، مكتب الجندي ـ بيروت .

(٢) راجع كتابه : شرح المواهب اللدنيّة ٧: ١٣، طبعة المطبعة الأزهرية ـ القاهرة.

(٣) هو الحسين بن المنصور بالله، القاسم بن محمّد ، المتوفى سنة : ١٠٥٠هـ، وقد صرّح بذلك في كتابه: هداية العقول إلى غاية السؤول في علم الأصول ٢: ٤٥، طبعة صنعاء ـ اليمن .

(٢) مصادر علماء السنّة
التي أبدت تأييدها المصدّق على تواتر حديث الغدير

(١) أبو الفتح محمّد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، المتوفّي سنة٥٤٨ هـ، في كتابه: الملل والنحل ١: ١٦٣.

(٢) أبو الفداء، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، المتوفّى سنة ٧٧٤هـ، في تفسير القرآن العظيم ٢: ١٥، طبعة: دار المعرفة ـ بيروت.

(٣) أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر، المتوفّى سنة ٥٧١ هـ، في كتابه المعروف بتاريخ ابن عساكر، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ٢: ٥، طبعة دار الفكر ومؤسسة المحمودي ـ بيروت.

(٤) أبو الحسن علي بن محمّد الواسطي الجلاتي الشافعي، المعروف بابن المغازلي، المتوفّى سنة٤٨٣هـ، في كتابه مناقب علي بن أبي طالب: ٣١، طبعة دار مكتبة الحياة ـ بيروت.

(٥) أبو الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي الشافعي، المتوفّى سنة١٢٧هـ، في كتابه روح المعاني ٤: ٢٨٢، طبعة دار الفكر ـ بيروت.

(٦) محبّ الدين أحمد بن عبد الله الطبري في كتابه ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: ٦٧، طبعة مكتبة القدسي ـ القاهرة مصر، وطبعة ـ بيروت.

(٧) الحافظ شمس الدين الذهبي الشافعي في كتابه التلخيص بذيل المستدرك ٣: ١٠٩، طبعة دار الفكر ـ بيروت.

(٨) أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي في كتابه تاريخ اليعقوبي ١: ٤٢٢، طبعة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ـ لبنان.

(٩) القسطلاني، شرح المواهب اللدنّية ٧: ١٣، طبعة المطبعة الأزهرية القاهرة ـ مصر.

(١٠) علي بن محمّد بن أحمد المالكي، المعروف بابن الصبّاغ، المتوفّى سنة: ٨٥٥هـ، في كتابه الفصول المهمة: ٤٠، طبعة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيرو ت ـ لبنان .

(١١) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب المعروف بالنسائي، فضائل الصحابة: ١٥، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.

(١٢) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفّى سنة ٩١١هـ، تاريخ الخلفاء: ١٦٩ ، طبعة مصر.

(١٣) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفّى سنة ٩١١هـ ، الحاوي للفتاوي ١: ١٠٦، طبعة دار الكتاب العربي ـ بيروت.

(١٤) أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، من أعلام القرن الثالث الهجري، في كتابه أنساب الأشراف ٢: ١١١، طبعة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ـ لبنان.

(١٥) أبو الفداء ، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، المتوفّى سنة ٧٧٤هـ، ابن كثير، البداية والنهاية ٥: ٢٠٩، طبعة مكتبة المعارف للمطبوعات

بيروت ـ لبنان .

(١٦) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمّد بن عبد البر، في كتابه الاستيعاب ٣: ١٠٩٨، طبعة دار الجيل بيروت ـ لبنان.

(١٧) عبد الرؤوف المناوي، في كتابه الكواكب الدريّة في تراجم السادة الصوفيّة ١: ٦٩، طبعة المكتبة الأزهرية للتراث القاهرة ـ مصر.

(١٨) المحاملي، الأمالي: ٨٥، طبعة المكتبة الإسلامية ـ الأردن.

(١٩) أحمد بن إبراهيم القيسي، في كتابه شرح هاشميات الكميت بن زيد الأسدي: ١٩٧، طبعة مكتبة النهضة بيروت ـ لبنان.

(٢٠) محمّد الصبّان الشافعي، المتوفّى سنة١٢٠٦هـ في كتابه إسعاف الراغبين: ١١١، مخطوط، المكتبة الشعبية ـ بيروت.

(٢١) محمّد رشيد رضا ، في كتابه تفسير المنار ٦: ٤٦٤، طبعة دار المعرفة بيروت ـ لبنان .

(٢٢) أحمد بن حنبل، المتوفّى سنة١٢٤١هـ في كتابه العلل ومعرفة الرجال٣: ٢٦٢، طبعة المكتبة الإسلامية ـ الرياض.

(٢٣) أبو منصور عبد الملك بن محمّد إسماعيل الثعالبي النيسابوري، المتوفّى سنة: ٤٢٩هـ ، في كتابه ثمار القلوب من المضاف والمنسوب٢: ٩٠٦ ، طبعة دار البشائر بيروت ـ لبنان .

(٢٤) جلال الدين بن أبي بكر السيوطي، المتوفّى سنة٩١١هـ ، في كتابه الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير ٢: ٦٦، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.

(٢٥) نور الدين علي بن عبد الله السمهودي، المتوفّى سنة ٩١١هـ ، في

كتابه جواهر العقدين في فضل الشرفين، فضل العلم الجلي والنسب النبوي: ٢٣٦، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.

(٢٦) عبد الرؤوف المناوي ، في كتابه كنوز الحقائق ٢: ١١٨، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان .

(٢٧) أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، المتوفّى سنة٧٤٨هـ، في كتابه ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٣: ٢٩٤، طبعة دار إحياء الكتاب العربي بيروت ـ لبنان .

(٢٨) جلال الدين بن أبي بكر السيوطي، المتوفّى سنة ٩١١هـ، في كتابه الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٢: ٢٩٣، طبعة محمّد أمين بيروت ـ لبنان .

(٢٩) نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، المتوفّى سنة٨٠٧هـ، في كتابه مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٩: ١٢٩، طبعة دار الفكر بيروت ـ لبنان.

(٣٠) الموفّق بن أحمد بن محمّد المكّي الخوارزمي، المتوفّى سنة: ٥٦٨هـ ، في كتابه مناقب علي بن أبي طالب:١٥٦، طبعة جماعة المدرسين قم ـ إيران.

(٣١) ركن الدين أبو محمّد الحسين بن مسعود أبي الفراء البغوي، المتوفّى سنة٥١٦هـ، في كتابه مصابيح السنّة ٤: ١٧٢، طبعة دار المعرفة بيروت ـ لبنان .

(٣٢) أبو عبد الله محمّد الحكيم الترمذي، من علماء القرن الثالث الهجري، في كتابه نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول ﷺ: ٢٨٩، طبعة دار صادر بيروت ـ لبنان.

(٣٣) كمال الدين محمّد بن طلحة الشافعي، المتوفّى سنة ٦٥٤هـ ، في كتابه مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: ٤، مخطوط .

(٣٤) أبو سعيد الهيثم بن طلحة الشافعي، المتوفّى سنة ٣٣٥هـ ، في كتابه المسند ١: ١٦٦، طبعة مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة .

(٣٥) سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي، المتوفّى سنة ١٢٩٤هـ ، في كتابه ينابيع المودّة ١: ٣٣، طبعة المطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف ـ العراق.

(٣٦) عبد الرؤوف المناوي، في كتابه فيض القدير شرح الجامع الصغير ٤: ٣٥٨، طبعة دار المعرفة ـ بيروت.

(٣٧) أبو المؤيّد الموفّق بن أحمد المكّي ، أخطب الخوارزمي، المتوفّى سنة٥٦٨هـ ، في كتابه مقتل الحسين ١: ٤٧ طبعة إيران .

(٣٨) المتّقي الهندي، في كتابه منتخب كنز العمال ٥: ٣٠، طبعة المكتب الإسلامي ـ بيروت.

(٣٩) أبو عبد الرحمن ، أحمد بن شعيب النسائي، المتوفّى سنة٣٠٣هـ ، في كتابه، خصائص أمير المؤمنين علي عليه السلام : ٤٣، طبعة إيران.

(٤٠) عفيف الدين ، عبد الله بن أسعد اليافعي اليمني، المتوفّى سنة٧٦٨هـ ، في كتابه مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان: ١٤٣، طبعة مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

(٤١) عبد الله بن عمر البيضاوي، في كتابه طوالع الأنوار ١: ٥٨٥ ، طبعة الديار العامرة ـ مصر.

(٤٢) أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، المتوفّى سنة٤٥٨هـ ، في كتابه

الاعتقاد على مذهب السلف، أهل السنّة والجماعة: ٢١٧ طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٤٣) الحافظ الطبراني، المتوفّى سنة ٣٦٠هـ، في كتابه المعجم الأوسط ٣: ٦٩، طبعة مكتبة المعارف ـ الرياض.

(٤٤) أبو عبد الرحمن ، أحمد بن شعيب النسائي، المتوفّى سنة٣٠٣هـ، في كتابه السنن الكبرى ٥: ١٣٠، طبعة دار المكتبة العلمية ـ بيروت .

(٤٥) عبد الرحمن بن خلدون، المتوفّى سنة٨٠٨ هـ، في كتابه المقدّمة: ٢٤٦ ، طبعة دار الفكر ـ بيروت .

(٤٦) جمال الدين محمّد بن يوسف بن الحسن بن محمّد الزرندي الحنفي المدني، المتوفّى سنة ٧٥٠هـ، في كتابه نظم درر السمطين: ٩٣، طبعة القضاء ـ النجف الأشرف ـ العراق.

(٤٧) محمّد بن عبد الله الخطيب التبريزي، في كتابه مشكاة المصابيح ٣: ١٧٢٠، طبعة المكتب الإسلامي ـ بيروت.

(٤٨) سيف الدين الآمدي، المتوفّى سنة ٦٣١هـ، في كتابه غاية المرام في علم الكلام ٣٧٥، طبعة القاهرة ـ مصر.

(٤٩) أبو جعفر أحمد الشهير بالمحبّ الطبري ، في كتابه الرياض النضرة في مناقب العشرة ٣: ١٢٧، طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت.

(٥٠) بدر الدين، أبو محمّد بن أحمد العيني ، المتوفّى سنة ٨٥٥هـ، في كتابه عمدة القاري، شرح صحيح أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاري، المتوفّى سنة٢٥٦هـ، ١٨: ٢٠٦، طبعة دار الفكر ـ بيروت.

(٥١) محمّد بن معتمد خان البدخشاني الحارثي، المتوفّى١١٢٦هـ، في كتابه نزل الأبرار بما صحّ من مناقب أهل البيت الأطهار: ٥٤، طبعة مؤسسة المفيد ـ بيروت.

(٥٢) الشبلنجي، في كتابه نور الأبصار في مناقب بيت النبي المختار: ٧٨، طبعة المكتبة الشعبية.

(٣) بعض من صرّح من
المؤرّخين والمفسّرين من علماء السنّة
بنزول آية الإكمال والإتمام في الإمام علي عليه السلام في يوم الغدير

أبو المؤيّد الموفّق بن أحمد بن محمّد المكّي الخوارزمي، المتوفّى سنة٥٦٨هـ، روى بإسناده، عن أبي سعيد الخدري قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا دعا الناس إلى علي عليه السلام في غدير خمّ، فدعا علياً فأخذ بضبعيه فرفعهما حتّى نظر الناس إلى بياض إبطي رسول الله صلى الله عليه وآله ثم لم يتفرّقوا حتّى نزلت هذه الآية: ﴿ ...**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا** ... ﴾[1]. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: « الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الربّ برسالتي والولاية لعلي من بعدي » مناقب علي ابن أبي طالب: ١٣٥، طبعة قم ـ إيران.

أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر، المتوفّى سنة ٥٧١ هـ، روى بإسناده عن أبي هريرة قال: من صام ثمانية عشر من ذي الحجّة كتب له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدير خم لما أخذ النبي صلى الله عليه وآله بيد علي فقال: « ألست ولي المؤمنين »؟ فقالوا: بلى يا رسول الله،

---

(١) المائدة (٥): ٣.

قال: « من كنت مولاه فعلي مولاه »، فقال عمر بن الخطاب: بخٍ بخٍ لك يابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلّ مسلم، فأنزل الله: ﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ...﴾، تخريج ابن عساكر: ترجمة الإمام علي عليه السلام: ٢: ٧٨ ، طبعة دار الفكر ـ بيروت.

أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، المتوفّى سنة ٧٧٤هـ ، قال في تفسيره إنّ الآية: ﴿ ...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ... ﴾ نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله في مسيره إلى حجّة الوداع، تفسير القرآن العظيم ٢: ١٥ ، طبعة دار المعرفة ـ بيروت .

جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفّى سنة ٩١١هـ ، روى في تفسيره عن أبي سعيد الخدري قال: لمّا نصب رسول الله صلى الله عليه وآله علياً يوم غدير خم، فنادى له بالولاية، هبط جبريل عليه بهذه الآية: ﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾، الدر المنثور ٣: ١٩.

وروى أيضاً عن أبي سعيد الخدري في كتابه الإتقان: إنّ الآية: ﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا...﴾ نزلت يوم غدير خمّ، الإتقان في علوم القرآن ١: ٥٤ طبعة دار إحياء العلوم ـ بيروت. إلى غير ذلك ممّن صرّح بذلك ولا مجال هنا لذكرهم.

أبو الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي، المتوفّى سنة ١٢٧هـ ، عن أبي سعيد الخدري قال: إنّ هذه الآية: ﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ

دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ...﴾ نزلت بعد أن قال رسول الله ﷺ لعلي –كرّم الله وجهه- في غدير خم: « من كنت مولاه فعلي مولاه » فلمّا نزلت ، قال: «الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضاء الربّ برسالتي وولاية علي –كرّم الله وجهه- بعدي»، روح المعاني ٤: ٩١، طبعة دار الفكر بيروت.

الفصل الثالث

في ظلّ تداعيات الغدير

لماذا كان الغدير؟

ولماذا كان يوم الغدير؟

ولماذا كانت ذكرى يوم الغدير؟

لماذا كان الغدير؟

ولماذا أصبحت ذكراه مولداً؟

تشعّ فيه القلوب من ضيائه

وهي التي لا ترى نفسها إلّا مظلمة من دونه إذ إنّها كالقمر

يحنّ أبداً إلى الشمس التي تمنحه نورها

فيشع ضياؤه

حتّى أنّ من يراه يقول: إنّه هو الذي يضيء

وما كان هو ليفعل

إنّما كان يستمدّ نوره من نور الشمس

كما هي الإنسانية

ليس لها أن تستمدّ نورها إلّا بفضل محمّد ﷺ وأهل بيته

الأطهار عليهم السلام.

سواء شعرت بذلك أو لم تشعر.

سواء اعتقدت بضرورة الإيمان بمحمّد صلى الله عليه وآله ووصيّه علي بن أبي طالب عليه السلام أم لا

لأنّ رحمة الله بالغة العالمين جميعاً!

ولقد كان ولمّا يزل أحرى برسوله ووصيّ رسوله وأئمّته من بضعته الزهراء أن يتقمّصوا روح الله في وجوداتهم التأريخية والمعاصرة حتّى لو امتدّت ذكراهم قروناً سحيقة لكن أفكارهم وذكراهم وكينوناتهم ما تزال تعيش بيننا ونحسّ بها ولا نأفل إلّا حينما تغادرنا أيّامها ونتناسى – لا سمح الله – شعاعاتهم المتوفّرة على كلّ أسباب وجودنا لأنّه لولاهم ما كان خلق الله شيئاً من الكائنات ولا واحداً من الموجودات.

وإذن فعنايتهم البشرية قاطبة ما كانت إلّا منحة إلهيّة من لدن الله العزيز القدير حينما جعل رسوله وأهل بيته عليهم السلام هم أنبل الناس وأوفاهم لكلّ خلقه.

تمثّلوا خلقه فلا يأخذ عباده بفنون عذابه

لأنّهم لا يستجيبون له بمثل هذه السرعة التي يتوقّعها منهم أو أنّهم لا يثوبون إلى رشدهم فيفهمون سرّ الخليقة وسرّ وجود آل محمّد عليهم السلام

وسرّ حاجتهم إليهم وأنّهم الخلق الضرورة حقاً

وأنّه لولاهم لما كان أحد من البشر يحيا
وأنّه لولاهم لما كان للبشرية أن تواصل مسيرتها
ولكن ما كان كلّ هذا
إلّا إحباطاً وغبناً وتنكّراً للجميل الذي يصدر من أبوي أمّة بكاملها
يمكنها أن تكون أمّة للعالمينا
وعليه
كلّ هذا له أن ينعكس على يوم الغدير
لأنّه سمة حقيقية لكلّ منجزات الدين والدنيا
وذلك أنّ كليهما ما كانا اجتمعا إلّا فيه
فهو عمر مديد
لكلّ الأنواء الدنيوية
وصفة حميمية لكلّ الأفاق الدينية
ولكن
لماذا كان علي؟
ولماذا كان الرسول؟
ولماذا كان علي رائد البيعة في يوم الغدير؟
ولماذا كان الجمهور شاهداً على مثلها؟
ولماذا كانت الصلاة ظهراً وفي مثل كلّ ذلك الحرّ الهجير؟

ولماذا كانت الأيام حبلى أبداً بمثل هذه المناسبة وسعاداتها؟

ولماذا يحاول البعض أن يئد مثل هذه الذكرى لمثل هذا اليوم؟

كما لو أنّه يحاول وأد موجود حيّ ينطق ويتنفّس ويعيش ويمتلك كلّ حقّه في مواصلة الحياة والتمتّع بكلّ أركانها وجمالياتها

يحاول أن يئد ذكره

وما يشعر أنّه يئد ذكرى نفسه

وبنفسه

يئد نفسه من دون أن يشعر

ويحكم على نفسه بالموت

لأنّ الغدير وبكافة أبطالها وشخوصها

ما كان وما يكانوا إلّا أسباب وجوده

فإذا حاول نسف ذكراهم والعياذ بالله فإنّه ما ينسف إلّا ذكراه ووجوده الشخصيّين والعامّين

وسينسف معها كلّ وجودات الآخرين من حوله

أنظر إلى عظم المصيبة التي لا يشعر بها أحد

﴿ **وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ** ﴾[١].

فهل يسارع الكثير وبعصبية جاهلية وبمعيّة عصبة مشركة بالله أن تئد

---

(١) التكوير (٨١): ٨ -٩.

مثل هذا اليوم وتقتل ذكراه في نفوس الناس جميعاً؟

والله الذي جعل ذكراه في يوم اجتمع فيه الشرق والغرب

وكلّ الشمال والجنوب من مسلمي العرب وغير العرب في ذلك اليوم.

أهكذا يجزى الرسول وأهل بيته لقاء حمايتهم لمن أحبّهم ولمن لم يودّهم أيضاً؟!

أهكذا يفترض أن يجزى آل البيت وهم الذين يحافظون على أرواح البشر جمعاء

من دون فرق بين عربي أو أعجمي؟!

بل إنّهم لا ينظرون إلى من ناوأهم نظر المنتقم المتشوّف إلى ألوان الدم.

بل إنّهم ينظرون إليه نظر الماسي عليه المكلّل بألواح الحزن

ألواح يحملونها فوق ظهورهم

كما لو كان عيسى عليه السلام يحمل صليبه غير المنظور فوق كتفيه

وحتفه الذي اشتاقت لتوقيعه فوق منواله يهود عصره من مناوئيه

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾[1].

كذلك فإنّ مناوئي آل محمّد ما هم ببالغي أهدافهم في الانتقام من آل محمّد

---

(١) النساء (٤): ١٥٧.

إلّا كما بلغه يهود عصر عيسى عليه السلام من قبل

حينما شبّهت لهم أو هامهم بأنّهم يستطيعون النيل من نبيّ الله عيسى عليه السلام

كذلك يعيش من يناوئ آل محمّد في اليوم

كما عاش اليهود من قبل

والله لتحذونّ حذو بني إسرائيل حذو القُذّة بالُقذّة والنعل بالنعل

والله لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه

لذا

فلقد رأينا وسنرى

من اُمّة محمّد كلّ العجب العجاب!

مثلما رأينا في الأمس

اُمّة محمّد تقتل ابن بنت نبيها في أيّام الحرام ، وفوق صعيد الطفّ

لكنّ التاريخ ما عاد يكرّر نفسه

وسوف يكرّر أشياءه بمعزل عن احتقان ثوراته

إنّه سوف ينتقم من تلك الألوان القبيحة

ولا يتركها تستأصل جذور الله في أرضه

لأنّ أنوار الإله في أرضه من مصابيح آل محمّد

ما كانوا إلّا أصول البشر في أرضه كالجبال لها

لأنّ منابتهم كشجرة ليس لأحدٍ أن يجتثّها من فوق الأرض لأنّها ثابتة

وفرعها في السماء

هكذا أرادها الله مباركة بينما ما كتب على نفسه إلّا أن يجتثّ شجرة النفاق

من فوق أرضه

لتبقى علامة على وأد الفتنة كالدمار الذي لحق بمسجد ضرار

لأنّ الفتنة لا تكون إلّا من حيث لا يعيها الناس

ولا يؤمن بها إلّا الجاهلون بعد أن تتشبّه عليهم ، كما شبّه لليهود قتل عيسى

فكما اعتنق اليهود وقتها الإيمان بقتل نبيّهم

يعتنق اليوم بعض الناس الإيمان بضرورة قتل نبيّهم

من حيث يقتلون شيعة آل محمّد

ويحاولون إماتة ذكرى أئمّتهم وأيامهم في نفوسهم ويمنعون علوم أئمّتهم، وصحيح شرعتهم من الوصول إلى أذهان الناس

ولو سألتهم أتقتلون الناس لأنّهم شايعوا أولاد نبيّهم؟

قالوا: لا.

كما لو سألتهم من خلق السماوات والأرض؟

ليقولنّ: الله.

كذلك لو سألتهم أتقتلون نبيّكم؟

ليقولنّ وقتها: لا.

فكيف تقتلون أولاد نبيّكم؟!
ثمّ تحاولون ملاحقة أشياعهم.
كما لو أنّكم تحيون شرعة فرعون والطواغيت من قبلكم
بأقوامهم التي لاحقت أنبيـاء الله، وقتلـت النبيـين بغيـر حـق كبنـي إسرائيل
أولئك الذين ضربوا الرقم القياسي في قتل الأنبياء،
بل حطّموه
أكنتم خلفاً لأسلافهم؟
وحينها سيكون لهم أن يقولوا:
لا.
لم نقتل النبيّين، ولو كان أمثال هؤلاء من الذين تدّعون،
هم أشياع أولاد النبيّ
فأين كان النبيّ قد وعد برعايتهم؟
وهم الذين يشركون بالله من حيث لا يشعرون
فيعبدون أولاد نبيهم من حيث لم يخبروننا بذلك ولم يأمروهم بمثله
كعيسى بن مريم
أأنت قلت للناس أعبدوني أنا وأمي من دون الله؟
قال: معاذ الله أن أقول ما ليس لي به علم!

ومالم تأمرني به[1]!

إذن هم يمارسون التعلّل بالحقّ من أجل إثبات غير الحقّ كلمة حـقّ يراد بها باطل

لم يكن ليفعلوه إلّا بعد أن نبذوا ما آتاهم الله به من قبل وراء ظهورهم

فانقلبوا ينؤون بسفسطاتهم غير المحدودة

وينبذون كلّ الحقّ وراء الظهور

يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعضه!

يؤمنون برسالة محمّد ويكفرون بضيائها المتواصل!

يؤمنون بالقرآن الصامت.

وينبذون إيمانهم بناطقه وراء كلّ أيامهم الصمّاء البكماء!

لأنّ آل محمّد لم يقولوا لأحد أن اعبدونا من دون الله كما قال عيسى ابن مريم للناس

: أن لا تتخذوني إلهاً من دون الله

لذا

ما كان لشيعة آل محمّد أن تعبد آل محمّد

---

(١) اشارة لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾ المائدة (٥): ١١٦.

ولا كان لها أن تتّبعهم أن أمروا بمثله

لأنّهم موحّدين لا يعبدون إلّا الله، ولا يشركون به أحداً

لكن

لمّا كان هو وبنفسه وفي قرآنه المجيد قد أمرهم

بكلّ مودّة

أن يودّون من اصطفاهم على العالمينا

وأن يسمعوا لهم

ويطيعوا

ويعظّموا شعائرهم

ويزوروا مراقدهم أركان الأرض وأفياء السماء في بسيطته الفيحاء

ويبنوا لهم في كلّ ريع آية للرحمن وليس آية للشيطان كـي تـستحق نبذه وذمّه ومن ثمّ نقمته

لذا

فقبورهم ما كانت إلّا بيوت كان أمر الله بها أن يذكر فيها اسمه،

يقوم فيها رجال يسبّحون باسمه وحده

ويتوسّلون إليه باسمه

لأنّ أئمة الحقّ من آل محمّد ما كانوا إلّا أنوار اسمه

تلك الأنوار التي لم تذنب شيئاً

ولم تقترف معصية

ولم تجرم ولم تجترئ على حرمات بارئها

أليس الدعاء سيكون له حقّه في الإجابة؟

سيّما وأنّه يتمّ في ظلّ تلك القباب التي أخفى الله أولياءه تحتها،

وتحت تلك المنابر الذهبية الحفيّة بكلّ فنون رحمة الـرحمن وشـيعة آل محمّد ما كانوا يبتغون هناك إلّا الوسيلة

بعد أن كانوا يثبتون للحقّ تعالى

أنّهم عند حسن ظنّه

في تلبية وصية رسوله

﴿ **قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** ﴾[1]

بعد أن والوا الربّ

وآمنوا بموالاة نبيّه، وأبناء بضعته من أولاد وصيّه

وأحفاد نفس المصطفى صلّى الله عليه وآله وسلّم

سيّما حين أمرهم بما حدّثهم به في قرآنه:

﴿ **وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ** ﴾[2]

فلبّوا كرامته، وقاموا بتحقيق طلبته

حينما ابتغوا إليه الوسيلة

---

(١) الشورى (٤٢): ٢٣.

(٢) المائدة (٥): ٣٥.

لأنّه ما كانت الوسيلة إلّا بهم

بآل محمّد حيث ما كان قد عرف إلّا الصواب

ولم يتمّ هناك أي شرك

بل قمّة العنفوان في قمّة العبادة للربّ العزيز

وإذن

لم يحق على شيعة آل محمّد

ما حقّ على شيعة عيسى من اليهود

الذين قتلوه!

حتّى شبّه لهم

أو من المسيحيين الذين ألّهوه

فعبدوه من دون الله

لأنّ شيعة آل محمّد موحّدون

ولا يؤمنون بآل محمّد إلّا لأنّهم نبراس التوحيد

ووصيّ رسوله ما كان إلّا مولى الموحّدين

وقائد الغرّ المحجّلين

وابنه الحسين بن عليّ شهيد الطف

ما كان إلّا أبا الأحرار من الموحّدين

والأئمة من ولده

ما كانوا إلّا عيون الله في أرضه

والتي تسهر على إقامة دولة التوحيد

حتّى يحين أجل دولة العدل والإحسان في أرضه

علي يدي آخر إمام منهم

وما كان إلّا حجّة الله على عباده

المهدي المنتظر

والذي له أن يبثّ أنوار يوم الغدير وبكلّ تجلّياتها

في كلّ أرض الله وسمائه

كي يحيي سنّة الله أبداً

وينشر أعطاف العدل بين ظهراني كلّ عباده من خلقه!

ثمّ وثمّ وثمّ...

هل أنّ من يحاول إماتة ذكرى مثل هذا اليوم في نفوس العالمين يفهم بالضرورة كيف أنّ لمثل هذا اليوم الذي احتفى به في واقعيته آلاف الناس بما ينيف على المائة ألف شخص فيسعى أن يقضي على أبدية مثل هذا اليوم في نفوس أبنائهم، والخلف لهم كي لا يستذكروا ما كان يفعل الزمان بالأمس أو ما حصل مع آلاف مؤلّفة في الأمس، فلا يودّون أن يتكرّر الموقع ويعاود الزمان حصائله فيعيد ذكراه الماجدة؟!

ولكن ليس هذا السبب الواحد

لكن السبب الأكثر وعداً هو أنّ الآلاف من البشر التي كانت حضرت

بالأمس وحاولت فلول منها أن تميت هذا الوحي في نفوسهم في وقتها فإنّ مثل هذه الآلاف قد أصبح في اليوم يعدّ بالملايين المؤلّفة وإنّ هذه الفلـول من المتمردين على وحي الإله قد أصبحوا آلافاً.

والخطأ الجسيم أنّ هؤلاء الأخيرين يعني المنـاوئين حينمـا وجـدوا أعدادهم قد زادت وتضاعفت وأصبحت تكراراً لأرقام عدّة ظنّوا أنّهـم قـد أخذوا بأطراف الأرض قاطبة ومن كلّ جهاتها.

وخانتهم المروءة و الـذاكرة والفهـم والعلـم والجغرافيـا بـأنّ أولئـك الآلاف المؤلّفين للحضور في يوم الغدير من الناس الذين عادوا مع رسـول الله للرجوع إلى أهاليهم ومواطنهم في شـتّى أصـقاع الأرض حـول مكّـة والمدينة أو في شمالهما وشرقهما أو في غربهما وجنوبهما. نعم غـاب عـن ذهن هؤلاء الغابنين بالقوة والفعل لحقّ الوصيّ وأهل بيته ولحـقّ الرسـول قبل كلّ شيء في أن يسمع له ويطيع كلّ العرب والعجم مـن خلـق الله فـي قاطبة أرضه والغابنين أيضاً لحق الإنسانية والتاريخ والبشرية.

نعم ثانية فإنّه قد غـاب عـنهم أنّ أعـداد هـؤلاء المحيطـين بـالنبيّ والوصيّ قد تضاعف أضعافاً مضاعفة وبشكل خطير. فإن زاد عددهم فـإنّ أعداد هؤلاء أيضاً قد تضاعف وانظر إلى العدد حينما ينتـشر مـن آحـاده كيف لجملة من الأعداد أن تتضاعف هي الأخرى فلو تضاعف عدد٦ هـل يمكن أن يعادل مضاعفة العدد ١٢٠،٠٠٠ فستّة حين يتمّ ضربها فـي عـدد نفسها سوف تصبح٣٦ ولكن حينما يتمّ ضرب العدد ١٢٠،٠٠٠ فـي نفـسه فإنّه يصبح ١٤٤،٠٠٠،٠٠٠،٠٠ !

أُنظر إلى التفاوت في هذين الرقمين ونسبة التضاعف في كلّ منهمـا . فلو تبصّرنا في قضية هذه المعادلة لوجدنا أنّ الـشرّ مقمـوع ، وإلـى آخـر العمر، وأنّ الحقّ قائم حتّى لو كان للظلم أن يسعى سعيه فـي كـلّ أقطـاب الأرض، ويأتيها من كلّ أقطارها ؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى أبى إلّا أن يـأتي الأرض من أقطارها!

حتّى لو استطاعت أيادي الخبث واللؤم والظلم أن تسكت كـلّ هـذه الأصوات الملياردية أو البليونية أو حتّى الترليونية إن مضينا فـي المبالغـة في صورها غير الخيالية لأنّها أقرب إلى الواقع من حيث مـضاعفة أعـداد النصرة الإلهية في القرآن الكريم سيّما حينما يؤكّد حـول مـضاعفة النـصر الإلهي وإرساله من لدنه بتعزيز قدرات جيش الرسول برفده بملائكـة مـن عنده مسوّمين ؛ فإنّ النفس الإنسانيّة غير المحابية لأسرار القرآن وحقـائق الدين إلّا عن صدق ومروءة ، ولا تداهن الوضع بل تكشف الصحّة من الفعل دون الغلواء في الخطأ فإنّ لها أن تعدل عنـد الله هـي الأخـرى آلافـاً مـن البشر.

أتحـسب أنّـك جـرمُ صـغير وفيـك انطـوى العـالم الأكبـر

يعني أنّ الإنسان حينما ينقلب صورة تعكس كلّ الوجـود فـإنّ لهـذا الأخير في بعض الأوقات أن يجتمع فيه ويكون نسبة هائلة من الوجودات التي لها أن تنطوي فيه وتنعكس في داخله وفي خارجه.

كذلك الفئة القليلة حينما تنتصر على الفئة الكبيرة وبإذن الله هل لها أن تعني بأنّ فعلاً إعجازياً يتمّ إنجازه أو أنّ هذا العدد القليل كان قـد اشـتمل

على مناصرين آخرين فزاد عددهم في الحقيقة دون إظهار مثل هذه الزيادة والكشف عنها؟

كما أنّها هل يمكنها أن تعني أنّ القدرات تضاعفت وأصبح البشر القليلين يحملون هيمنة أعداد أكبر من أعدادهم وأكثر من مصداقيتهم الرياضية وأن قدراتهم قد تضاعفت فأصبح الشخص والواحد فيهم يعبّر عن قدرات عدّة أشخاص يشتمل عليها وتعكس فيه قدرته التي هي في الحقيقة ما كانت إلّا عدّة قدرات لعدّة أشخاص اجتمعت في شخصه وبفعل قوة إلهية هائلة كان أعدّها الله لنصرة أوليائه؟

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ﴾[1].

إذن فهذا العدد الذي يمكن أن يختال بمضاعفته أولئك الذين لا يحبّون لمثل هذه المناسبة أن تحيى بين القلوب وتعيش في الأذهان أبداً فاتهم أنّ العدد بالمقابل (يعني عدد الناس الذين لهم أن يسمعوا لقول الرسول وأن يفهموا نداءه الذي له أن يتكرّر اليوم على لسان أوليائه وشيعته من أنصار علي بن أبي طالب ويكرّرون نداءه الذي هتف به في صحراء الغدير وأعلن عنه هناك قبل قرون مضت) له أن يتضاعف بالشكل الرهيب والذي له أن يبقي أرقهم في حيز التفعيل ممّا يؤدّي بهم إلى حرج أكيد وعجز صريح في أن يواصلوا أفانين أحابيلهم بشكلها الطبيعي ممّا سيدفع بهم إلى استلهام الشيطان لأفكار التحدّي والتصدّي للمؤمنين ممّا يقود بهم

---

(١) الحج (٢٢): ٤٠.

إلى تحريم العصا ونكتها في كلّ الرماد والنيران والحطب كي تغيثهم وتسعف خططهم غير الإلهية بل الماكرة بفعل مكر الشيطان الذي ليس له أن يدوم أو بفعل كيده الذي ما كان إلّا ضعيفاً[1]، ككيد الساحر الكافر!

لذا ، فإنّ لذكرى الغدير وفي أيامنا هذه وعصرنا هذا أن تعيش بحرارتها في قلوب الملايين ، وليس في قلوب مائة وعشرين ألفاً أو يزيد من الذين لهم أن لا يفهموا أو يستوعبوا كلام الرسول على حقيقته أو ينسوه أو يتناسوه لكنّنا اليوم نعيش في عصر يحمل بين ثناياه كلّ عصور المعلوماتية التي لها أن تتكاثر في اللحظة والأخرى وأن تنقل المعلومة في أسرع من لغة الضوء أو أن تضخ إلى العقل البشري في أقصى بقاع المعمورة كلّ ما يحتاجه من معلومات أو بكلّ ما يكن أن تبلّ عطشه الفكري وتجيب عن كافة أسئلته التي لا يجد لها مجيباً.

إذن الخطر مرّة أخرى يحدق بلغة الكافرين. فانتدبوا من يشغل الشباب العربي والمسلم والأُمّة الإسلامية جمعاء عن اللحاق الفكري بكلّ هذه الإعجازات العلمية والثقافية في لغة المعلومات المعاصرة وهي لغة الإنترنيت العالمية يعني الشبكة العنكبوتية للمعلومات، وعمدوا إلى إشغال الناس بأفكار واهمة وبرامج لا أخلاقية كي يشغلوا عصب الإنسان عن التفكير في واقعية العيش الحقيقي ويلهونه عن اللحاق بقصب السبق في العثور على إجابات مقنعة لكافة أسئلته بل عمدوا حقيقة إلى إشغال الناس

---

(١) ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ ، النساء (٤): ٧٦.

عن التفكير... يعني مجرّد التفكير بقضية الولايـة أو الحاكميـة أو مـصداقية أهل البيت عليهم السلام بالانفتاح على موروث تاريخي غير صدوق وإلهـائهم بـه ودفعهم للانكباب عليه دون تحصيل ولا حتّى أي حاصل وتحفيزهم لتـرك أي موروث شيعي صحيح ؛ لأنّه بنظرهم موروث زائف لا يمتّ إلى التاريخ بصلة ، وما كان هذا في الحقيقة هو همّهم الأساس ، ولكن همّهم الأسـاس من أراد أن يخفي إحداثيات السفينة المذكورة في البحر لا خوفاً من نفـس السفينة أو حتّى من ركوب البعض فيها ، ولكـن خـوفهم مـن أن يكتـشف الناس ما في السفينة من أسرار تشتمل على سرّ آل محمّد وأحقّيـتهم فـي الولاية وهداية البشر، وحكومة العالم، كمـا سيحـصل إن شـاء الله بظهـور صاحب العصر و الزمان حجّة الله الغالب كيما يقيم حكومـة العـدل الإلهيـة بين البشر.. ويحكم ملّة آدم وحواء كما أراد الله لخليفته أن يحكمهم.

إذن المشكلة ليست تكمن في نفس التاريخ لكنّها تكمن في محصول من محاصيل تاريخية وفي زمن معين ممّا دفـع بالعـصبة المـاردة إلـى أن تكرّس فعلها للنهوض بأسباب الأخذ بتاريخ مزيف بدل أن ترشـد النـاس إلى تاريخ صحيح فجعلت تكبر في أعين الناس حصائل تاريخيـة ليـست على تلك الأهمّية وليست من القدرة العقلية والإنسانية بمكان من أجـل أن تعمّ على أخريات من الحقائق، وتكافح في تدليس حقائق مثيرة لـو اطّلـع الناس على واقعيتها لاتبعوا أصحابها مثل ما يقول الإمام الرضا عليه السلام: « لـو عرف الناس علومنا لاتبّعونا » [1].

---

(١) انظر معاني الأخبار للشيخ الصدوق: ١٨٠، طبعة جماعة المدرسين- قم.

لذا فإنّ كلّ هذه التحريكات والأنشطة من أجل نشر علـوم دينيـة أو بشرية بشكل غريب ومكثّف ما كانت لغاية إلهية إنّما هي من أجل إشـغال الناس وإلهاء أوعيتهم عن مناطات أكثر وقعاً في النفس كي لا ينشغلوا بهـا أو يهتمّوا بها قيد لحظة ممّا يبعث بالفئة الضالّة إلى نشر وتكثيف إنفاقاتهـا في سبيل نشر موروث معين وترك الناس تعتاد عليه ، ولا تعتاد على غيـره فلا تفكر بعده في أي علميات أخرى وإن حصل للـبعض أن تعـرّف علـى علوم غير تلك العلوم كان لهم أن يقعدوه عن مجرّد البحث في أسسها بعـد تخريب أفكاره بمجمل الصدود، وبعد أن يقرأوا في ذهنه ، ويعبّئوا نفـسيّته بآلاف الحجج المختلقة والتي لها أن تقف بوجه لحق الإنسان بحقائق إلهية دامغة والتصدّي لطريق الحقّ عبر الإملاء على عقليته بـأنّ مـا يجـده فـي بطون مثل هذه الكتب من معارف ما هـي إلّا أفكـار مختلقـة نهـضت بهـا مجموعة من البشر لا تريد للإنسان أن يصل بنفسه إلى مستوى رفيـع بـل تريده أن ينحرف عن لغة الصحابة وتاريخ الرسالة مع أنّهـم لا يبغـون فـي ذلك إلّا عوجاً، وصرف الأنظار الإنسانية عن طريق الحقّ الصحيح عبر كـلّ هذه الإشغالات الممجوجة فيحرفون الكلم عـن مواضـعه والأذهـان عـن طريقها الإلهي الصحيح عبر بـثّ الـشبهات وتفعيـل الغايـات الإلهيـة فـي التصدّي لشيعة آل الرسول وإغراء كلّ ذي عقل رخيص بمحـاولات أكثـر رخصاً في محاولة إسكات مثل هـذا الـضخّ الإلهـي تحـت ذرائـع واهيـة وتمجيدات كافرة كاذبة لا تريد للإنسان أن يحيا بألفة ومودّة بل تريـد لـه الدمار عبر زرع نار الفتنة بين المسلم وأخيه المسلم.

وما كانـت هـذه المحـاولات اللئيمـة إلّا أساسـاً ركيـزاً مـن أسـس ومرتكزات الاستعمار الحديث والتي أصبح أذنابه من المـسلمين الـشاذّين والعملاء له يقومون بمهامّة التي ما عاد هو يقوم بها بعد أن وجد فـي مثـل تلك الفتن وهؤلاء المغرّر بهم كلّ لهوه ومؤدّاه وغايته! كيمـا يتـسلط علـى الأمّة الإسلامية ويفني أسسها ويذيب القها بعد أن يحرق وجودها ويـشعل نيران الضلالة بين أفرادها فلا يبقى بعدها مسلم يقف بوجهه ؛ لأنّه في وقتها سيكون قد انشغل في قتال أخيه المسلم، وحسب !

الفصل الرابع

فلسفة حديث الغدير
كما اشتقّت من المصادر

يُعتبر حديث الغدير من الأحاديث التاريخية الهامّة والمصيرية التي أدلى بها رسول الله ﷺ في السنة الأخيرة من حياته المباركة ، وهي من الأحاديث التي تثبت إمامة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وتوجب ولايته على جميع المؤمنين بعد ولاية الله تعالى وولاية رسوله المصطفى ﷺ بكلّ صراحة ووضوح.

ثمّ إنّ حديث الغدير حديث متواتر [1] رواه المحدّثون عن أصحاب النبي ﷺ وعن التابعين بصيغ مختلفة، تؤكّد جميعها على إمامة الإمام أمير

---

(١) صرّح بتواتر حديث الغدير جماعة من علماء السنة، كما اعترف جماعة بصحته، نذكر منهم:

١) الغزالي: أبو حامد محمّد بن محمّد ، المتوفى سنة: ٥٠٥ هـ في كتابه: سرّ العالمين: ١٣، طبعة مكتبة الجندي ـ مصر.

٢) شمس الدين الشافعي: أبو الخير شمس الدين بن محمّد بن محمّد بن الجزري، المتوفى سنة: ٨٣٣هـ في كتابه: أسنى المطالب: ٤٧، طبعة طهران ـ إيران.

٣) القسطلاني: في كتابه: شرح المواهب اللدنية ٧: ١٣، طبعة المطبعة الأزهرية ـ القاهرة.

٤) المنصور بالله: الحسين بن أمير المؤمنين المنصور بالله ، القاسم بن محمّد المتوفّى سنة: ١٠٥٠هـ في كتابه: هداية العقول إلى غاية السؤول في علم الأصول ٢: ٤٥، طبعة صنعاء ـ اليمن.

المؤمنين عليه السلام، لكون الجوهر الأصلي فيه واحد وإن اختلفت بعض العبارات.

أمّا نسبة الحديث إلى الغدير فيعود سببه إلى أنّ النبي أدلى بهذا الحديث على أرض غدير خم[1] في اجتماع حاشد يضم ما يربو على مائة ألف من المسلمين وذلك بعد رجوعه من أداء مناسك الحجّ في آخر سنة من حياته المباركة.

وقد تناقلت المصادر الإسلامية السنيّة والشيعيّة على حدّ سواء حديث الغدير في كتب التفسير والحديث والتاريخ والكلام وغيرها بأكثر من عشر صيغ وفي ما يقارب المائة من الكتب المعتبرة المعتمدة.

أمّا رواة حديث الغدير الذين تمكّن التاريخ من ضبط أسمائهم فهم: من الأصحاب (١١٠) صحابياً ومن التابعين (٨٤) تابعياً، وأما رواة هذا الحديث من العلماء والمحدثين عددهم (٣٧٠) راوياً[2]، كما ألّف علماء الإسلام كتباً مستقلة في هذا الحديث إذعاناً منهم بأهمية هذا الحديث وصحته ومصيريّة موضوعه[3].

---

(١) غدير خم: موضع بين مكّة المكرمة والمدينة المنوّرة على مقربة من الجحفة التي هي من المواقيت التي يُحرم منها الحجاج للحجّ أو العمرة.

(٢) لمعرفة أسماء رواة حديث الغدير يراجع: الغدير في الكتاب والسنة والأدب، لمؤلفه القدير العلامة الشيخ عبد الحسين الأميني قدّس الله نفسه الزكية، المتوفّى سنة ١٣٩٠هـ.

(٣) لمعرفة أسماء المؤلفين في حديث الغدير يراجع: الغدير في الكتاب والسنّة والأدب ١: ١٥٢ — ١٥٧.

وفي ما يلي نذكر بعض النماذج التي أوردها بعض أكابر علماء السنّة في كتبهم رعاية للاختصار، من ثمّ سنعمد إلى التعرّض إلى أوفى النقول، ومن شاء التفصيل فليراجع مصادر الحديث [1]:

١) أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال الشيباني، المتوفّى سنة ٢٤١هـ، عن البراء بن عازب، قال: كنّا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا بغدير خم، فنودي فينا الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله ﷺ تحت شجرتين فصلّى الظهر وأخذ بيد علي رضي الله عنه

فقال: «ألستم تعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم»؟

قالوا: بلى.

قال: «ألستم تعلمون أنّي أولى بكلّ مؤمن من نفسه»؟

قالوا: بلى.

فأخذ بيد علي!

---

(١) المصادر التي ذكرت حديث الغدير كثيرة جداً، لكنّنا هنا نشير إلى بعضها كما يلي مع انّنا سنتعرّض لها فيما بعد:

١) مسند أحمد بن حنبل ٤: ٣٦٨، طبعة دار صادر ـ بيروت.

٢) خصائص أمير المؤمنين للنسائي: ٩٨، طبعة بيروت.

٣) السيرة الحلبية ٣: ٢٧٤، طبعة دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٤) كنز العمال ٥: ٢٩٠، طبعة منشورات التراث الإسلامي ـ حلب.

فقال: « من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهـم وال مـن والاه وعـاد مـن عاداه».

فلقيه عمر بعد ذلك فقال له : هنيئاً يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كلّ مؤمن ومؤمنة[1].

٢) الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن عليّ ، المتوفّى سـنة٤٦٣هـ ، عن أبي هريرة ، قال : من صام يوم ثمان عشرة مـن ذي الحجّـة كتـب لـه صيام ستين شهراً، وهو يوم غدير خم لمّا أخذ رسول الله ﷺ بيد علـيّ بـن أبي طالب عليه السلام فقال: « ألست أولى بالمؤمنين »؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: « من كنت مولاه فعليّ مولاه ».

فقال عمر بن الخطاب: بخٍ بخٍ لك يا ابن أبي طالب أصـبحت مـولاي ومولى كلّ مسلم[2].

٣) ابن حجر: أحمد بـن حجـر الهيتمـي، المتـوفّى سـنة ٩٧٤هـ، أنّ النبي ﷺ قال يوم غدير خم: « من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهـم وال مـن والاه وعاد من عاداه، واحبّ من أحبّه، وابغـض مـن أبغـضه، وانـصر مـن نصره، واخذل من خذله، وأدرّ الحقّ معه حيث دار » .

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٤ : ٢٨١، طبعة دار صادر ـ بيروت.

(٢) تاريخ بغداد ٨: ٢٩٠، طبعة دار الكتب العلمية — بيروت.

وقال ابن حجر حول حديث الغدير: إنّه حديث صحيح لا مريّة فيـه ، وقد أخرجه جماعة كالترمذي والنسائي وأحمد ، وطرقه كثيرة جداًّ، ومـن ثمّ رواه ستّة عشر صحابياً، وفي رواية لأحمد أنّه سمعه من النبي صلى الله عليه وآله ثلاثون صحابياً وشهدوا به لعليّ لمّا نـوُزع أيـام خلافتـه[1]... وكثيـراً مـن أسانيدها صحاح وحسان، ولا التفات لمن قدح في صحّته[2].

وممّا تقدّم يمكن استخلاص النقاط التالية:

(١) إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله إنّما أدلى بهذا الحديث بأمر من الله تعالى وذلك بعد نزول آية التبليغ وهي:

---

(١) تجدر الإشارة هنا إلى أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عندما نُوزع في الخلافة جمع الناس في «الرحبة» واستشهدهم قائلاً: انشد الله كلّ امرئ إلّا قام وشهد بما سمع – أي بما سمع من رسول الله يوم الغدير – ولا يقيم إلّا من رآه بعينه وسمعه بأذنيه، فقام ثلاثون صحابياً فيهم اثنا عشر بدرياً، فشهدوا.. يقول العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين قدس سره: ولا يخفى أنّ يوم الرحبة إنّما كان في خلافة أمير المؤمنين، وقد بويع سنة خمس وثلاثين، ويوم الغدير إنّما كان في حجّة الوداع سنة عشر، فبين اليومين – في أقل الصور – خمس وعشرين سنة، كان في خلالها طاعون عمواس، وحروب الفتوحات والغزوات على عهد الخلفاء الثلاثة، وهذه المدّة – وهي ربع قرن – بمجرد طولها وبحروبها وغاراتها، وبطاعون عمواسها الجارف، قد أفنت جُل من شهد يوم الغدير من شيوخ الصحابة وكهولهم، ومن فتيانهم المتسرّعين – في الجهاد – إلى لقاء الله عزّ وجلّ ورسوله صلى الله عليه وآله حتّى لم يبق منهم حيّاً بالنسبة إلى من مات إلّا القليل والأحياء كانوا منتشرون في الأرض... المراجعات: ١٧٢، طبعة دار المرتضى.

(٢) الصواعق المحرقة في الرّد على أهل البدع والزندقة: ٦٤، طبعة ـ القاهرة .

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾[١]، في يوم الغدير تحثّه على تنصيب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام خليفة له وإماماً للناس[٢].

(١) المائدة (٥): ٦٧.

(٢) صرّح الكثير من المفسرين بأنّ نزول آية التبليغ كان في يوم الغدير لدى رجوع النبي صلى الله عليه وآله من حجّة الوداع في مكان يسمّى بـ« غدير خم » ، وفي ما يلي نشير إلى بعض من صرّح بذلك:

١) أبو الحسن علي بن احمد الواحدي النيسابوري، المتوفّى سنة٤٦٨هـ ، عن أبي سعيد الخدري، قال: « نزلت هذه الآية: } يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ { يوم غدير خم، في علي بن أبي طالب رضي الله عنه » أسباب النزول: ١١٥، طبعة : المكتبة الثقافية ـ بيروت.

٢) عبيد الله بن عبد الله بن احمد ، المعروف بالحاكم الحسكاني من أعلام القرن الخامس الهجري: روى بإسناده عن ابن عباس في قوله عزّ وجلّ : } يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ { الآية ، قال : نزلت في علي، أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يبلغ فيه ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد علي فقال : « من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » شواهد التنزيل ١: ١٩٠، طبعة منشورات الأعلمي ـ بيروت.

٣) فخر الدين الرازي ، المتوفى سنة٦٠٤هـ ذكر من جملة الوجوه الواردة في سبب نزول آية : } يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ { أنّها نزلت في الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وعدّه الوجه العاشر من الوجوه المذكورة ، قال: نزلت الآية في فضل علي بن أبي طالب عليه السلام ، ولمّا نزلت هذه الآية أخذ بيده وقال: « من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، فلقيه عمر فقال : هنيئاً لك يا ابن أبي طالب ، أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة.

وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمّد بن علي، التفسير الكبير ١٢: ٤٢، طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت .

←

(٢) التدبّر في الآية السابقة ولهجتها الصارمة بصورة عامة، مضافاً إلى التدبّر في دلالة ﴿ **وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ...**﴾ يكشف لنا عن حساسية القضية وخطورة المسألة المطروحة.

(٣) إنّ انتخاب « غدير خم » الصحراء القاحلة التي يلفحها الهجير وتلتهب رمالها بوهج الظهيرة كمكان لإلقاء حديث الغدير، وانتخاب المقطع الأخير من حياة الرسول ﷺ كزمان لإلقاء الحديث، وانتخاب الاجتماع التاريخي الحاشد الذي يشكّله الحجّاج العائدون من بيت الله الحرام كمستمعين لهذا الخطاب التاريخي الهام، إلى غيرها من الأمور إن عبرت عن شيء فإنّما تعبّر عن أهمية ما أمر الله النبي ﷺ بإبلاغه، وهو تعيين المسار القيادي للأُمّة الإسلامية دينيّاً وسياسيّاً.

كما أنّ عدم إبلاغ النبي ﷺ الناس بولاية أمير المؤمنين عليه السلام يُعدّ

---

٤) جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١ هـ روى بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال: « نزلت هذه الآية : ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ**﴾ على رسول الله ﷺ يوم غدير خم في علي بن أبي طالب » الدر المنثور ٣: ١١٧ ، طبعة محمّد أمين – بيروت.

٥) أبو الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي، المتوفّى سنة ١٢٧٠هـ ، عن ابن عباس ، قال : نزلت الآية: } يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ { في علي حيث أمر الله سبحانه أن يخبر الناس بولايته ، فتخوّف رسول الله ﷺ أن يقولوا حابى ابن عمّه وأن يطعنوا في ذلك عليه ، فأوحى الله تعالى إليه ، فقام بولايته يوم غدير خم، وأخذ بيده ، فقال رسول الله ﷺ: « من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » روح المعاني ٤ : ٢٨٢، طبعة دار الفكر – بيروت.

مساوياً لعدم تبليغ الرسالة الإلهية، وهذا ممّا يُبيّن أهمّية مسألة الإمامة والقيادة ويفهم هذا المعنى من قول الله تعالى: ﴿ **وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ..** ﴾.

(٤) إنّ المخطّط الإلهي للحياة البشرية مخطّط حكيم وكامل ولا يمكن أن يهمل مسألة قيادة الأمّة الإسلامية بعد الرسول ﷺ بدون تخطيط أو يترك الأُمّة من غير راع وولي، وهذا ممّا يدفع بالأُمّة إلى الانزلاق نحو هاوية الفتن والصراعات والتناقضات ، ويكون سبباً لإهدار أتعاب الرسالة، وهو ما لا يقبله العقل السليم ولا يصدّقه الشرع طبعاً.

(٥) إنّ نزول آية الإكمال وهي: ﴿ **... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً...** ﴾[1] في يوم الغدير بعد إبلاغ النبي ﷺ الناس بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لدليل واضح على أنّ اكتمال أهداف الرسالة وضمان عدم وقوع انحراف أو فراغ تشريعي أو قيادي أو سياسي بعد الرسول ﷺ، إنّما يتحقّق في حالة استمرارية القيادة المنصوبة والمنصوص عليها من قبل الله عزّ وجلّ.

وفي ضوء ما تقدّمت الإشارة إليه من النقاط يمكن أن نفهم عمق العلاقة بين النصوص القرآنية[2]، في يوم الغدير الذي تمّ من خلاله تعيين

---

(١) المائدة (٥): ٣.

(٢) المراد من النصوص القرآنية الآيات التالية:

الخليفة والإمام من قبل ربّ العالمين، وبواسطة رسوله الأمين ﷺ.

وأخيراً: فإنّ للحديث أن يحمل دلالة واضحة وصريحة على إمامة

➡

١) آية التبليغ وهي: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ المائدة (٥): ٦٧.

٢) آية الإكمال وهي: ﴿ ... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا...﴾ المائدة (٥): ٣.

٣) الآيات الأوائل من سورة المعارج، وهي: ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِّنَ اللهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ المعارج (٧٠): ١ – ٣، ولقد صرّح غير واحد من المفسّرين والمحدثين بنزول العذاب على جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدري – أو غيره على خلاف – وهلاكه، والقصّة يرويها الحافظ أبو عبد الله الهروي كالتالي: لمّا بلّغ رسول الله ﷺ غدير خم ما بلغ، وشاع ذلك في البلاد، أتى جابر بن النضر بن الحارث بن كلدة العبدري، فقال: يا محمّد أمرتنا من الله أن نشهد أن لا إله إلّا الله، وأنك رسول الله، وبالصلاة والصوم والحج والزكاة فقبلنا منك، ثمّ لم ترض بذلك حتّى رفعت بضبع ابن عمّك ففضّلته علينا، وقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه، فهذا شيء منك أم من الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «والذي لا إله إلّا هو إنّ هذا من الله» فولى جابر يريد راحلته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمّد حقّاً فأمطر علينا حجارة من السماء، أو أتنا بعذاب أليم، فما وصل إليها – أي إلى الراحلة – حتّى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره وقتله، وأنزل الله تعالى: ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ... ﴾ الآية. الغدير في الكتاب والسنّة والأدب١: ٢٣٩، للعلامة الشيخ عبد الحسين الأميني ﵀، وقد ذكر المؤلف مجموعة من المصادر التي ذكرت أنّ الآية نزلت بهذه المناسبة.

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام باعتباره المرشّح الوحيد لتسلّم زمام الأمُة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكونه الولي الشرعي المنصوب من قبل ربّ العالمين بواسطة سيّد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم.

وهو الأمر الذي اعتبره الله عزّ وجلّ تكميلاً للرسالة وتتميماً للنعمة إذ قال: ﴿ ... **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا...** ﴾. وللوقوف على تفاصيل أكثر لحديث الغدير وكلّ ما يتعلّق به سيّما دراسته بصورة دقيقة وشاملة يمكن مراجعة الكتب التالية:

١) الغدير في الكتاب والسنّة والأدب، للعلّامة الشيخ عبد الحسين الأميني قدس سره.

٢) المراجعات، للعلّامة السيّد عبد الحسين شرف الدين الموسوي قدس سره.

الفصل الخامس

في انتظار الزمن الذي لم يأتِ بعد!

عود على بدء

كما لو كنا نحتفل بالغدير في كلّ يوم مرّة أو أكثر

أو في كلّ عام مرّة

أو في كلّ أيامنا وبكلّ لحظاتها وساعاتها

ولكن

رضينا أم لم نرض

فإنّ أيام ذكرى يوم الغدير..

هي لا زالت تطلّ علينا في العام مرّة

لكنّها لا تصادفنا ولا ننتظرها إلّا كما كانت تحيى معنا أبداً

فنعود نحتفل بها ونحتفي بكلّ شؤونها في كلّ يوم مرّة

وأكثر من مرّة.

ولذا علينا أن نترك العمل لخمسة أيام

نتّخذها عطلة رسمية لنا ولأجيالنا التي تأتي من ورائنا

كي ننتبه لها أكثر

ونحتفل بها أكثر

شريطة أن نترك لأيام عيد الفطر ثلاثة أيام

ولأيام عيد الأضحى أربعة أيام

لأنّها ليست بأعظم من عيد الغدير

لذا علينا أن نمتحن أنفسنا بخمسة أيام

نفضي فيها إلى علوم آل محمّد

سعادة وبهجة وفرح

نتزاور ونتصافح ونتآخى

كما لو كنّا إخوة مذ ولدتنا أمهاتنا

بل أعظم

لأنّنا إخوة يوم الغدير

نتآخى في علي وولايته

وولاية أولاده من الأئمّة المعصومين

وولاية من تبعه إلى يوم الدين

إنّها ذكرى ليست بالغريبة علينا

ولا تفاجئنا أيّامها وساعاتها بكلّ ذكرياتها وأشواقنا إليها كلّما طلّت علينا.

لأنّها تعيش معنا في الحنين والذكرى واليوم والنهار منه (والليل إذا

يسري هل في ذلك خبر لذي حجر)!

لأنّ ذكراها ما زالت حبلى بالأماني التي لا زالت تعيش في قلوبنا قبل أن تحيى في أذهاننا التي تشهد لها الأقدار وكلّ الأحايين.

إذ أنّها ما كانت إلّا ريحانة الأعصار التي تمتدّ فوق أثيل المجد الذي ظلّ يغطي سحابة الأمس والحاضر.

ثمّ.

هل يمكن أن يمتزج الحلم باليقظة؟

هل يمكن أن يلتئم الجرح فيلبس ليل الدم بصبح البلسم؟

وهل يمكن لقبضة من قمح أن تنقلب شمعة تضيء في كلّ مساء...

وهل يمكن لغربة أن تتحدّر فيصيب رذاذها معين حبّ يطوف خياله في بحر من الأنسام التي لا يقرضها سوى ريح الطريق...

ثمّة قمر يطوف في الأرجاء، ويبحث له عن عشّ كي لا تفارقه لحظة فرح. ربّما غرق في وهدة تركته يفتّش عن نصيبه من الحبّ والوفاء وكيف له أن يثبت ولاءه للأفلاك وكيف له أن يثبت حسن سيرته لمنارات الأنجم التي تراكمت في أعالي السماء؟

وكيف لفرحة البشر أن تفوق حجم الوصف؟

ولكن هل يمكن للسبب نفسه أن يستوحي – وفي غمرة كلّ هذا السيل من الجموح العاطفي وتفجر المشاعر – صفات ترسل عليه آيات

العزّ والوفاء؟

لكن الجو قائظ والسماء تفيض بلهبها المشحون بكلّ نبال الحرّ القيظ.. هل يمكن أن تفلح السنون فتزرع غصوناً في الدرب من قبل أن تفيض هذه بورودها المدمّجة برائحة الأصيل؟

هل يمكن أن تحرث الشمس بحرارتها أرض الصحراء فتورثها حبّ النخيل ولمس العذب من ماء الغدير.

ولكن ما من غدير بإمكانه أن يتّسع لكلّ هذه السنين من الأحلام وليس بوسع أي غدير أن يضمّ بين حناياه ويشتمل بين ثناياه على كلّ ما يحلم ويفكّر به المرء!

هل بميسور شخص ما أو أكثر أن يحيل عصب الحياة إلى شيء أشبه بذلك أو أن يقذف بليل الظلمات الذي يغطّي صعيد الأيام ليبدّلها بنهار النور؟

ولكن كيف للصحراء أن تبلّ غليل عطشها وتطفئ حرّ نيران صعيدها؟ هل يمكن أن يمتدّ عصب وشريان في ضلع من المساحات ليفرغ رزمات من الوعد والوعيد؟

هل يمكن أن تنمحي الظلمات وتندلق ليال من السحب غير المتوهجّة لتثير غيرها من وافدات الخير والبهاء طلعتها في كبد السماء المؤتلقة بريح كان بوسعها منذ قديم الزمان أن تبلّ عطش كلّ ربوع الأحياء وكلّ وهاد الأرض وهضابها!

غير أنّها اليوم ما أرسلت إلّا لتلقي بتحيّتها صوب قطر كان ينثال بأثيرية طاغية في السماح والنبل والسخاء.

بيد أنّ السماء ما زالت تطفح بمياه عالقة في أرجائها!

هل آثرت على نفسها؟ فبدلاً من أن تطفئ لوعة أديمها المكتئب بلحن من ألحان السيب الذي يمكن أن يزدحم به سديم كلّ شئ كان توزّع – ومن قبل – في أنواء تلك السماء الشاهقة.. فبدلاً من أن تفعل مثل ذلك خلدت إلى لحن كان يمثل لديها أكثر الخلود خلوداً وأعظم من الصباح صباحاً لأنّها كانت ترى فيه دوام عزّها وسبباً هامّاً في قيامها ما حييت الألوان من الخلق والأنواع من الموجودات!

لكنّها ما كانت لتصبر على منح ذراها وهي التي ما كانت رأتها من قبل إلّا سامية ولكنّها اليوم كانت ألفت كلّ ذراها يلتئم في حلقات تسافر بها صوب الأرض حيث صعيد صحراوي يغلي من شدّة وهج الشمس التي ما كانت ترغب في إحراق ما ينحدر فوق بساطه من أيّما شعاع لها إلّا وسحاب يأجّج الأنام كي تلمح فيها ثقل هيام ولفحة برودة فلا يتعاظم شيؤها كلّ العظمة ولا تعظم رمضاء بطاح تلك البقاع أيّ عظمة..

ولكنّها اليوم كانت مُرغمة أن تكتب كلّ قصائدها حقيقية فوق صعيد الأرض التي أراد بها كبرياء إلهي حقيقي هو الآخر أن يمتحن أفئدة عباده لاسيّما خُلّصهم الخلوصين!

وكيف لا ويوم عصيب يفوح من ريحانه كلّ طيب لا يبيّن له ملمح

ولا أثر إلّا الأرض والسماوات بأشملها!

وكيف لا وهو ما كان إلّا يوم أشعر أفق الكواكب قبل أرضينه بهـالات كلّ الأضواء التي تميل بخيلاء فوق نور عليائه وروح أشيائه كمـا لـو كـان التيه هنا ورقة لا يغامر بها أحد إلّا من كان له قلب وأخفـض سـمعه وهـو شهيد ذلك أنّ المقامرة ليس لها سجال ها هنـا لأنّ كـلّ الأيـام اسـتحالت حرارة فما من مغامرة تفوق المبادئ وما من مغامرة تستأهل الكفـاح مـن أجل استيعاب كلّ الضياء، وإطلاق كلّ شعاعات الأنوار في وقت واحد في كلّ الأصقاع ؛ لأنّ الحلم فيه كان بوسـعه أن يهـضم حـرارة كـلّ الأفـلاك ويستعير لون الأقداح كما لو كانت بلورات ثلج عائمة وسط مخالب ناتئـة تحوم في كلّ أرجاء محيطات وبحيرات القطب والانجماد.

إنّها كانت مطيعة لخالقها لأنّها شمس تعيش في إحدى نقاط الوجـود «لزمكانية» والتي يعود ملكها إلى موجدها وصانع النار فيها تلتهب كالكرة لا تهدأ ولا تنطفئ. وهو الذي كان أوحي لها بأنّ الأمر ما كان يعدوها.

ولكن عجلة الزمان لم تتوقف إلّا لأجل انصياع كلّ الذوات إلى الذات العليا، ذات الإله ، ولم تنصع ساعة الأوقات إلّا لأجل مهمّة أعظـم ومـشاقّ جهد أكبر وأوسع نطاقاً.

إنّ الوقت يكاد ينقضّى وتعجل عربة القضاء والقدر لتلقي بأثقالها التي اكتنزها الزمان وخبّأها عنوة في حسابات خفية لا يدركها إلّا أساطين العلم وجحاجيح الفراسة.

تلك المسافات كان يطويها الحجّاج وكان يفترض في كلّ حاجّ يـودّ العودة إلى أرضه ووطنه أن يقطعها إن كان يستلزم طريق رجوعـه امتطـاء ظهر تلك المسافات رويداً رويداً.

الطريق بين مكّة والمدينة. كثيرة هي الأصوات ومتعدّدة هـي تعـاريج الكثبان الرملية وتلولها التي تكاد تلامـس حنـاجر المـسافرين فـي هـذه الطرق حينما تعانق ذرّاتها المتطايرة أجواف حلوقهم وتضرب في أوتارهم الصوتية وتلبسهم ثوب الحرمان من جمالية السفر وعنفوان الرحيل إلى كلّ زمان ومكان.

الناس جميعاً يرومون قطع المسافة مهما كلّف الأمر، والحاجّون الذين أنهوا حجّهم واستمعوا إلى خطبة الرسول ﷺ كان التعب قد أرهقهم وهدّهم لبعد المسافة وثقل الأحمال والمؤنة لكن وجود الرسول إلى جـانبهم كـان يخفّف من عبء الـسفر فـضلاً عـن اعتقـادهم المتأصّـل بنبـيّ الإسـلام واعتناقهم المذهب عن إيمان واعتقاد لاسيّما أنّ أكثرهم كان من أهل الشام واليمن يضاف إليهم جمع عظيم أيضاً من الأنصار والمهـاجرين مـن أهـل المدينة.

لكنّهم يغذون السير دون هوادة تحدوهم طموحات كثيرة.

كيف سيعلنون عن الدين بين أهليهم وكيف سيبشرون بالنبيّ الأعظـم وهم الذين رأوه فكان عليهم أن يتزوّدوا منـه الكثيـر كـي لا يعـوزهم مـا يشعرون بالافتقار إليه حينما يصلون إلى أسرهم وعشائرهم وقبائلهم.

ولكن أيّ أمل يدفعهم لمواصلة الطريق بل أي آمال كانت هي التي حدت بهم إلى المجئ إلى مكّة وتعلّم مناسك الدين الجديد.

إنّهم أناس حديثو عهد بالإسلام وفيهم الكثير أيضاً ليس تديّنهم وانتماءهم إلى الإسلام من الحداثة بشئ لأنّهم اعتنقوه منذ سنوات لكن كثير منهم كان ينظر إلى هؤلاء المحدّثين بالدين نظرة حقد وحسد ربّما لأنّ الطهارة في الانتماء تنقصهم في نفس الوقت الذي كانوا يجدون مثل هذه الروح الطيبة في هؤلاء الجدد من ذوي الأنفاس الحديثة عهداً بدين التوحيد ومبدأ الإيمان والبعث والإمامة والنبوّة والعدل.

ربّما كان جملة من القدامى ينظرون إلى هؤلاء ويفكّرون في احتمالية الإفادة من كلّ هذا العدد الهائل لضمّه إلى أصواتهم في حال حدوث أي اعتراض أو اختلاف أو...

هل يمكن أن ينضمّ كلّ هذا العدد إلى ميولهم وهم يجدون الرسول على وشك أن يغادر إلى ربّه وأن لا يغادر الآن فإنّه سوف يرحل يوماً ما وهل لهم أن ينتهزوا الفرص يعني فرصة غيبته ويتنكّروا لكلّ ما دعاهم الرسول لما يحييهم فيه وبأمر من الباري جلّ وعلا؟ وهل بإمكانهم مواجهة كلّ هذا العدد الهائل والكم العظيم من الناس فيما لو هم اعتقدوا باعتقاد غير الذي يعتقدون هم به أو في حافل أنّهم انقلبوا على الرسول بعد موته ورحيله هل سيكون بوسعهم إقناع كلّ هذا العدد من الناس لكسبهم إلى جانبهم ومن ثمّ تجنيدهم لصالح مطامعهم وإركابهم مركبهم الذي يشتهون؟

وهل أنّهم يعتقدون بأنّ الرسول قد فاته أن يؤكّد لمثل هؤلاء ما يريد

التأكيد عليه بصدد ما يتعلق بأمر الإمامة والوصاية من بعـده وهـم الـذين يعلمون علم اليقين أنّه يقصدها ويعلمـون علـم اليقـين أنّ معاشـر القبائـل ومجاميع الناس الذين قدموا من كلّ البقاع ومختلـف الأصـقاع والأمكنـة ومن الوهاد والجبال والهضاب والتلال والصحاري هم لا يحملون الـصورة الأساسية عن هذا المبنى أو هذا المعلم من معالم الدين الحقيقيـة أو قـل لا يدركون أو فيهم من يجهل بالتمام حقيقـة وصـاية علـي بـن أبـي طالـب وإمامته بعد رحيل الرسول وأنّه القائم مقامه ونائبه بالحقّ في حال غيبته أو سفره وهو المؤدّي عنه في كلّ الأوقات والأزمنة وهو الكفؤ من بعده؟

ولكن أنّى لهؤلاء أن يهدأ لهم بال وهم ما زالوا يتطلّعون إلـى الحكـم والسلطة وها هو ملك محمّد بن عبد الله – حسبما يتصوّرون ؛ لأنّهم بعد لم يدخل الإيمان في قلوبهم مدخله الحقيقي والصحيح – وإذن لقد بلغ ما بلغ ووصل صيته وقوّته في كلّ الأرجاء وقامت له السماوات والأرضـين وذاع أمره ودان له القصيّ والبعيد.

إنّهم ما فتئوا ينظرون إلى الأمر على أنه أمر تسلّطي وغلبي وإنّهم إن لم ينتهزوا الفرصة ويغتنموا الأمر فإنّ غيرهم سيسبقهم إليه ويستحوذ عليه كما أنّهم لا ينظرون إلى الأمر من الناحية الإلهية لذا فهم يفتقرون بعـد إلـى الإيمان الواعي أو قل الإذعان للأمر الإلهي ؛ لأنّ نفوسهم ما زالت تغـالبهم وتصارعهم للحصول على الشهوات والمطامع الدنيوية، ولـيس فـيهم مـن تردعه نفسه وتهديه لسواء السبيل وتطالبه بالتخلّي عن أفكاره والانـصياع لنداء الرسول الذي ما رأوه إلّا قبليّاً وأنّه يفضل علي بن أبي طالب لأنّه ابـن

عمّه وأنّه زوج البتول ابنته وأنّه المطيع له بكلّ حواسه وجوارحه.

فما زال الأمر يوحي لهم بكثير وكثير وهم ما زالوا يئنّون تحت وطأة احتمال القضية لوجوه متعدّدة ونواحي مختلفة.

وهم يعلمون أنّهم ليسوا الوحيدين الذين بإمكانهم التصيّد في المياه العكرة فهناك غيرهم كثير ممّن تلوّثهم الأحقاد الجاهلية من الموتورين والذين لم يدخل الإيمان في قلوبهم إنّما نازعتهم نفوسهم إلى حفظها والإبقاء عليها فأعلنوا إيمانهم بالسنّة والكتاب وأعلنوا عن اعتقادهم بالرسول وشرعة القهار لكنّهم في قرارة أنفسهم لم يقنعوا بكلّ ما جاء به الرسول ولم يكن بالسهل أن يتخلّوا عن أفكارهم القديمة أو طباعهم وسجاياهم وما احتكمت إليه نفوسهم من قبل وما اعتادت عليه قرائحهم من عيش وهضم للأموال وطمع وشره هو لم يزل بعد يجري في دمائهم ويتفاقم أمره في عروقهم أزيد وأكثر خاصّة كلّما فتح الله على الإسلام فتحاً فإن كان فيه مغنم قالوا ألم نكن معكم وإن كان فيه بلاء وامتحان للمسلمين قالوا ألم نحذّركم ولقد كفانا الله ما أصابكم[1].

ولكن مهلاً فالركب يتوقّف والناس في حيرة من أمرهم ترى ماذا يريد زعيم القافلة رسول الله من إيقاف الركب بكلّه؟

هل ثمّة أمر مهم يودّ إطلاعهم عليه أو أنّ قضيّة حسّاسة أو أمراً

---

(١) قال تعالى في سورة النساء (٤): ١٤١: ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللهِ قَالُواْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُواْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ...﴾.

طارئاً ربّما بدره فاسترعاه ممّا اضطرّه إلى استرعائهم هم الآخرون؟

ولكن الوقت في الظهيرة والحرّ في أوجّه والشمس قائمة في السماء تتوسّط كبد الأفلاك وما من معين على القيظ سوى الخالق وما من مظلّة تشمل الجمع وتستر الأعين سوى أجفان المرء وها هي تختلج وتستشعر الأمر السيئ.

كان إحساس السوء هذا لا يلازم إلّا من كان يعلم بنيّة الرسول وبحقيقة الأمر الذي لم يعد يخفى على أحد ولكن للتأكيد.

لو كان بيد البعض لما كان لهم أن يسمحوا للرسول بإيقاف هذا الحشد العظيم ؛ لأنّهم يعون أنّ الأمر عظيم وأنّ الرسول لا يقدم على مثل هذا الفعل إلّا لغاية أشرف وأعلى منزلة.. ولكن..

هل كانت الصلاة تعلن عن وقتها ولكن هم يعلمون أنّ الصلاة إن قامت سيقوم الرسول بعدها بمقالة وأخرى وأخرى وهو ما يعنيه سيلقمه قلوب الناس جميعاً وسيؤلب بذلك العالمين باعتبار أنّ بوسعه البوح بما لا يريدون بوحه أمام كلّ هذا الجمع العظيم؟

ولكن أيّ صلاة.. لقد صلّوا في مكّة

والآن الرحيل إلى المدينة وكلّ من كان معهم عليه أن يستسلم للانقياد صوب سبيله الموصل إيّاه نحو باديته وشعاب قبائله وبطاح حواضره وقراه.

ولكن الأمر أعظم..

إنّ الرسول يتوقّف ويعلن عن حاجته لبناء منبر ويأمر بحـقّ بـه، إنّـه يوصي بصنعه وبسرعة.. تحلقة العيون إليه لا تدري مـا يقـول، والحنـاجر تتهافت بالقول، والأسماع تصيخ لتعرف إلى أيّ بشرى أم مصيبة ستستمع..

إنّ الرسول يعتلي المكان والأعين تراقب والقلوب واجفـة والحـرارة ترتفع في الجماجم قبل أن تلتهب الصدور من روع ما سيقول أو يحدّث:

أوقع شيء؟ أحدث شيء؟ أيريد الرسول أن يخبر عن أمـر مـا كـان أخبر عنه في حجّة الوداع التي أعلن فيها عن قرب رحيلـه؟ ولهـذا كانـت قلوب العصابات التي تخبئ تآمرها المحمـوم ونياتهـا المأزومـة مازالـت تعتلج بالسوء وتختمر بصدف الرهان الذي ما عادت تفكر بغيره لأنّـه مـا كان بوسعها أن تستمع أو تصغي إلى لحن أي صوت عداه!

لقد تهامس الجمع ؛ إنّه يريد أن يفضحنا ويفضح الأمر الـذي نخطـط له، إنّه يحاول أن يجهض كلّ محاولاتنا المستقبلية للانقضاض على عرشه والاستيلاء على سلطة هذه الدولة التي استطالت إلى شيء لم يكـن يتوقّـع أمره أيّ امرئ ما حيي ولا حتّى أساطين السياسة والدول فـي المقاطعـات والأصقاع المجاورة.

مرحى لمن سيكون حظّه من هـذه الدولـة مكانـة الرسـول وعرشـه وسلطانه ؛ فإنّه سيأمر وينهى ويسيطر على العقول والأذهان قبـل أن يـضع يده على بيت مال المسلمين وأموال العباد وإقطاعيات الأراضـي وأصـقاع المعمورات وبساتين الأمصار ونخيل الولايات. سوف يعـيّن وينـصّب مـن يشاء وسوف يعزل من يشاء ويفـصل مـن يـشاء. سـيكون الـربّ ضـمنياً

والحاكم علنياً!

سوف يحصل على الأصفر والأحمر والأبيض مـن الـذهب والفـضّة والأموال. سوف يجني الغنائم ويقتطع الخراج ويستحوذ على أموال الفــيء والجزية والضرائب والعمولات وأموال الأصـقاع وواردات المـصالح مـن الأمصار والإقطاعيات.

وسوف يختصّ من سيحتلّ مكان الرسول من بعـده بأبنـاء عـشيرته والأقربون من أهليه كلّ منصب وموقع مهم. سوف يوزّعهم على الولايـات والأمصار والحواضر والقرى والأرياف. سوف يرسـلهم بـأمر سـلطاني لا يختلف عن أوامر قيصر وكسرى وبالتالي سـوف يـصبح الملـك كـسروي وقيصري وينحصر الملك في أهله وعشيرته ومعارفه وأصـحابه ويـستبعد من يكره ويبغض وسوف يقطع الأعطيات والإقطاعيات لمن يحبّ ويهوى وسوف يحرم من يشاء منها ويقطع أرزاق من يشاء من عبيد مملكته.

إنّ الأمر أكبر ممّا يتصوّره المتآمرون والناس عموماً.

فالأمر ما زال بيد الرسول ولا يستطيع أحـد أن يتحـدّث بـشأن مـن الشؤون التي تؤرّقهم ولكن بوسعهم أن يكيدوا ويتآمروا على سـلطان مـن يخلف الرسول وبميسورهم أن يقـضّوا مـضاجع العـالمين قبـل أن يقـضّ مضاجعهم أمر الرسول واستخلافه عليّاً!

إنّ الوقت يضيع وعليهم أن يتظاهروا بالحبّ والمودّة لرسول الله علّـه يعطف عليهم ويولّيهم شيئاً من حطام الدنيا ولكن أنّى لهم هـذا وإنّ المـرء

على نفسه لبصيرة وهم أعلم الناس بـأمر دخـائلهم ومـا يـضمرون وهـم يعلمون علم اليقين أن محمّد بن عبد الله ﷺ رسـول الله ومـا ينطـق عـن الهوى إن هو إلّا وحي يوحى ، وكم من مرة أعلن لهم عن نيّاتهم وما تضمره قلوبهم وما تحكيه جوارحهم وتنطق به افئـدتهم. وإذن هـو أعـرف مـنهم بنيّاتهم وقرائحهم وما يكنون من أمر في دواخل وبواطن نفوسـهم فكيـف سيولّيهم ويمنحهم المناصب وهو أعلم بما في نفوسهم وكيـف سيـستأمنهم على أمور العباد وهو الذي لا يفرق بين أسود وأبـيض ولا يفـضل عربـي على أعجمي؟

وإذن فهو سوف يكون حـدّياً معهـم إلـى أبعـد الحـدود وسـوف لا يمنحهم إلّا ما يستحقّونه من بيت المال حتّى ولو بلغ أمـرهم أمـر والـي أو حاكم أو حتّى خليفة يستخلفه على أمر المسلمين.

إنّه سوف لا يصيبهم من الذهب والفضّة والأموال والإقطاعيات إلّا مـا سيصيب أضعف خلق الله من المسلمين.

كما أنّ من سيستخلفه سوف لا يكون غير الرسـول بـل إنّهـم أعلـم الناس إنّه ما من أحد يشبه الرسول في أخلاقـه وطبعـه وصـفاته وطبيعـة تعامله وصور شمائله أكثر من علي بن أبي طالب، فهو الوصـي مـن بعـده، والخليفة الذي سيستخلفه كما استخلفه بالأمس، وأعلنهـا مـراراً وامررهـا عملياً حين استخلفه على المدينة كموسى الرسول حين اسـتخلف هـارون يخلفه على قومه في غيبته ، كما أنّهم يعلمون أنّ علياً لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا هو من الذين يقدّمون ويؤخرون شؤون الدولـة الإسـلامية وفـق

حسابات قهرية أو معادلات تحتمل مجريات يقع في حبائلها الإنسان الطبيعي كأن يتملّكه الحرج فيقبل بأمر عشيرته وقبيلته بتعيين فلان وفلان من الناس على فلان أمر أو منح فلان أكثر من غيره أو تقديم كذا أمر على كذا أمر خدمة لمصالح قبلية أو صراعات فردية أو مصالح شخصية أو أهداف لا تخدم إلّا أشخاصاً معيّنين أو قبائل أو أقواماً أو طوائف دون أخرى وأناس دون آخرين. وهكذا وهلمّ جرّاً!

ولكن كان الأمر يسبق الفرص الزمنية وها هو الرسول وعلي بن أبي طالب يعتلي المكان ويشاركه الوقوف أمام معاشر الأقوام وكلّ كيانات البشر التي كانت في مختلف من الطرق للعودة إلى أمصارها وشعبها ومناخ ركابها وبلدانها حتّى اجتمع العدد الأكبر مثلما كان الرسول ينتظرهم حتّى تراكمت أعدادهم وهم يتآلّفون زمراً زمراً، ويتعاقبون على الوقوف فرقاً فرقاً.

ولكن علينا أن نثير الأجواء ونترك الناس يتذمّرون من حرارة الأجواء ورمضاء التراب وحرّ المكان ووهج الشمس القاتل. فلنشغلهم عن الاستماع إلى ما سيقوله الرسول، وسيقول كلّ من لم يفهم كلام الرسول أو لم يصغ جيداً إليه أو لم يصل إليه صوت الرسول بوضوح إنّ الرسول ما قال إلّا كلاماً عادياً وأنّه أوصانا وأوصى الجمع بحسن الخلق وعدم الاقتتال ونبذ الخلافات وإنهاء كلّ الصراعات.

فلنحرّك في الناس روح التذمّر ونهيّج مشاعرهم ونلهي أسماعهم عن هذا الكلام كما كنّا نفعل أول زمان دعوته حينما كنّا نلغو في قرآنه ونرد

السامع عن سمع كلام ربّه! ولنجعل الناس يقومــون ويجلــسون وينهــضون ويقعدون من شدّة الحرّ وضيق المكان، ونوقع في قلوبهم ضرورة أن يتقــدّم الجمع صوب الرسول وأن يتكالبوا عليه كي يصيب سمعهم أكبر قــدر مــن وضوح كلامه ويفهمون ما يقول، وهم لا يعلمون أنّنا ما قصدنا من ذلــك إلّا إشغال الجمع بالتجمهر والتحلّق حول الرسول، وما يعلمون أنّهم لو صــمتوا وسكنوا كان لأفراد الجمع كلّهم أن يستمعوا بوضوح وشفافية إلى ما يحكيه محمّد بن عبد الله وينطق به ويلقيه على مسامعهم وسيغيب عــن بــالهم أنّ مجرد هذه الحركات والتقلّبات وتغيير المواقــع هــو الأســاس فــي إفــساد مخطّط محمّد بن عبد الله، وسيتمّ لنا بذلك ما نريد من كيد ضدّ علي وبنــي هاشم وآل الرسول من أبناء فاطمة!

ولكن إنّ الحال يتقضّى والسحاب ينحسر والناس يستمعون. فمع كلّ هذا اللغو وإثارة الفوضى التي اعتملنــا فــإنّ النــاس بــدأوا يــصغون أكثــر ويفهمون ما يقول ويدركون ما يعلن عنه محمّد !

لقد انجلى الأمر وانكشف الغمام أكثر من ذي قبل.

لقد زال الشك وانهدم كلّ أمل في الوصول إلى الأمل التليد واستمكان المملكة واستحواذ الأنفس على ما تشاء من أهواء مملكية وسلطانية.

ولكن مهلاً فما زال في الأمر متّسع والوقت غير بعيد. شأنه فــي ذلــك كشأن أي أمر باستطاعة أي امرئ منهم أن يقوم به ويأتي به إن هم اتّحدوا في التخطيط له والإيمان به!

فما زال في الوقت متسع للتخطيط لإجهاض كلّ ما يحصل الآن أو يعلنه الرسول ويخطّط له النبي، فإزاء كلّ تخطيط يجب أن يكمن تخطيط، وفي مقابل كلّ مخطّط يجب أن يكون صراع ضدّ وتصدّي معاكس كي يتمّ إحباط أفكار الرسول. وإيقاف الخطّ الذي يمكن أن ينمو في قرارة الأمر إن تمكّن علي بن أبي طالب من الوصول إلى سدّة الحكم وإن تمكّن الرسول من تنفيذ مخطّطه بالكامل وإن تمكّن بني هاشم من الوقوف إلى جنب علي بن أبي طالب فسيكون الأمر قبليّاً، وستكون ثمّة عشائرية تجرّ بنار الخلافة إلى قرصها وبالتالي ستكون ثمّة موارثة انتزاعية رغماً عن الأنوف ؛ لأنّ هناك حسناً وحسيناً، وهكذا دواليك فسيخلّفها علي لولده الحسن، وهذا الآخر سيخلفها من بعده لولده أو لأخيه الحسين أو ربّما سيتقاسمها مع أخيه الحسين بالوصاية أو بالحاكمية الزمكانية أو بأيّ وسيلة أخرى.

خلاصة الأمر إنّ القضية تحتاج إلى أكثر ممّا يتصوّره العقل. وما يزيد عن هذا الأمر علينا أن نعلم من يشاركنا مثل هذه الأفكار كي نتوقّاه ونحذر مكره، ونقعد له كلّ مقعد، وآخر كما سنقعد لعلي وبني هاشم ونحاول الإيقاع فيما بينهم أنفسهم قبل أن يوقعوا بنا ويتحدّوا ضدّنا ويؤلّبوا الناس ضدّ معسكرنا وبالتالي سنخسر أموال الغنائم والأصقاع والزكاة والخراج والخمس وغيرها.

ولكن الوقت يضايقهم فعليهم بتكثير العدد من العصابة وتأمين مواردها واستئمانهم على الأسرار وضمّ أكبر عدد من الأنصار إليهم كي

يشتدّ ساعدهم وتقوى تآليفهم المؤلّفة.

ولكن مهلاً فهم لم يتمرّدوا اليوم ولا الساعة ولا اللحظة.

لقد أعدّوا لمثل هذا اليوم أيّاماً أخرى تعقبه ومخطّطات لـيس لهـا أن تسبق الأمر إلّا حينمـا يحـين موعـد قطـاف الفاكهـة وجنـي المحاصـيل السياسية.

إنّ الحزب الـسياسي الآن يلعـب دوره ويتحـرّك دون إثـارة لـوعي الجماعة ومن دون أيّ تحريم للأحاسـيس أو أيّ تفجيـر للمـشاعر أو أي تقليب للموازين أو لظهر المجنّ!

ولكن الرسول ما زال يتحدّث وهو يرفع يده بعد أن قـبض علـى يـد علي بن أبي طالب ورفعها إلى أعلى حتّـى بـان بيـاض إبطيهمـا ، ولكـن الكلام كان له وقع عظيم ، وكان يخترق الأسماع كالسهام، وكان يفعل فعلـه في القلوب ويحرك في الضمائر كلّ ساكن.

بل كان لمثل هذا المشهد أن يعصف بكلّ الأحابيل والمخطّطات غيـر الإلهية ولقد كان لمثل هذا الوقوف موقعاً لا يكاد يغرب عن ذاكرة أيّ مـن الحضور بل إنّ أفكار مثل تلك العـصابات كانـت تنـصهر تلقائيـاً وكانـت تستبيين أمام قرائحها كم هو هزيل وركيك ما اعتمل في أذهانهم وكـم هـو أمر مستهان ما استجر في عقولهم وذاب في صدورهم كانصهار الحديد في آذان الظالمين في سقر أيام العذاب من دون أن يشعروا بقيمة العمل المـؤلم الذي يقود بهم إلى سافل النيران وحطام الجحيم.

ولكن ما زال الصوت الجهوري لرسـول الله وهـو الـذي كـان علـى مشارف التوديع يرنّ في الآذان وها هـو جـرس صـوته يـدقّ الآذان فـي نواعير القلوب التي كانت ملأى بالأعاصير النفسية والأشـجان المحمومـة والمشاعر الضائقة بكلام المعصوم والنبي الهمام الذي شعروا بأنّـه يحـاول تهديم كلّ قلاعهم وتبديد كلّ أحلامهـم وتحطـيم كـلّ صـروحهم بعـد أن ينزلهم من صياصيهم. كما أنزل اليهود!

أووه اليهود إنّهم أعداء الإسلام ومستعدون للتعاون معهـم للنيـل مـن رسول الله! فهم موتورون أكثر منهم، فها هو دم مرحب لم يجف بعد، وثـأره ما زال يملأ الصدور بالأحقاد. كيف غـابوا عنّـا! إنّهـم لـم يغيبـوا عنّـا إنّ بمقدورنا أن نتعاون معهم ونستلم منهم الأموال والقوّة بشرط أن نضمن لهم حقوقهم، وتحقيق ما يـأملون دون الإضـرار بمـصالحنا وأغراضـنا، وفـي المقابل فعليهم أن يكفّوا عنّا الأذى، وأن يتعاونوا معنا ضد أيّ عدو يتهدّدنا، وأن لا يتحالفوا مع من يهيمن على قلبه حبّ الخلافة والحكم وتسعى إليها نفسه من قبل أن تسعى إليها قدماه!

ولكن الصوت كان يصدح. أي صوت؟

إنّه صوت عظيم يؤثّر في القلوب الحاقدة من قبل أن يستميل القلوب الطيبة والصادقة بحبّها.

كيف لهذا الصوت أن يسكت؟ أما آن له أن يصمت ويكفّ. إنّه يعمـل عمله ويصنع صنعه في نفوسنا فما بال ما يصنع في نفـوس الآخـرين مـن حولنا وما بال ما يحدث في قلوب النـاس أجمعـين وهـم الآن بعـد مـدّة

وجيزة سيغادرون إلى أوطانهم ويلتحقوا بركبانهم نحو أمصارهم ومواقع أثرهم.

إنّه تحريض معاكس. إنّه يريد وبصوته أن يلقي علينا البراهين والحجج. فلصوته عذوبة رهيبة تملأ الصدور وتحجب عنّا كلّ مخطّط وتآمر، بل إنّ جمالية هذا الموقف لتكاد تستحوذ على كلّ خواطرنا وتلقم مؤامراتنا كلّ حجارة وأخرى.

فهل هو يعلن بالحرف الواحد:

* فمن كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله!

انتهى الأمر. قضي الأمر! وانهزم إبليس وجنده وكما لو أنّ الوحي حاضر في المجمع وإنّ الرسول لم ينطلق إلّا من حيث أمره ربّه وأوحى إليه جبريل.

ولكن مهلاً ما الذي يخبر الجمع به ويبلّغهم إيّاه.

* إلّا فليبلّغ الحاضر الغائب!

إنّه أمر إلهي عظيم إنّها ولاية علي بن أبي طالب وحكومة أئمّة. كلّ إمام يستخلف إماماً آخر من بعده. إنّها حكومة إلهية صدر مرسومها من عند الربّ، وكان الرسول ممثلاً عنه وها هو يبلّغها بالنيابة عنه إلى أسماع الكلّ.

إنّ الأمر أخطر ممّا ظنّنا. إنّ الأمر أصعب ممّا تصوّرنا.

إنّه خطير للغاية. إنّه يضع ملاك الأمـور بيـد علـي بـن أبـي طالـب، ويطلب من الناس تهنئته بمثل هذه السمة والمقام الـذي وهبـه إيّـاه بـأمر الربّ ؛ لإنّه ما ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحي يوحى. وهو خـاتم النبيـين وما موسى بأشرف منه، وما كان إبراهيم ولا نوح ولا إسماعيل أو يعقـوب أو حتّى آدم بأشرف منه، وهم كانوا قد أوصوا وهو الآخر يوصي.

ولكن مهلاً فإنّ معايير الموقف لتستأخذنا وتقلّب الأمـر حتّـى علـى وعينا الداخلي، وتتمرّد حتّى على مخطّطاتنا الداخلية ومعتلجاتنا النفـسية الطامحة إلى تغيير الحكم وقلب نظامه واستلابه. استلابه! نعم فليكن استلاباً فما أخذ بالقوّة لا يسترجع إلّا بالقوة. ولقد استلبنا محمّد زعاماتنا التي كنّـا نعم بها قبل الإسلام وصادر عزّنا وملكنا وسـلبنا سـلطاننا وبهـاء رفعتنـا القاهرة!

ولكن مهلاً ثالثاً ورابعاً فمحمّد كان بلغ به الجهد حتّـى نـال مـا نـال فكيف نستلبه حكماً كان قد استحصله بكـدّه وعـرق جبينـه، ولكـن أيـن شيطاني ليلهمني ما أجيب به على ضميري الذي أصبح يستعلي علـى كـلّ طموحاتي.

ولكن حقاً إنّه لولانا ولولا كلّ عوننا ووقوفنـا إلـى جانبـه مـا كـان لسلطانه أن يبلغ كلّ هذا العلو والرفعة. فنحن أيضاً لنا الحق في الاسـتطالة. وإلى متى يجب أن يبقى هذا السلطان في حـضن بنـي هاشـم. كفـاهم أنّ الرسول كان منهم وأنّهم حكموا بمعيّته ردحاً من الزمن ودهراً من الـدهور. فلقد استوفوا حصصهم وأخذوا حقّهم ، وأكثر من كلّ نصيب حالف الأقـوام

من الأقارب أو الأباعد!

لقد انفضّ الجمع وانهزم الجمع الآخر!

ولقد هنأ الناس وكبار الصحابة علياً على هذا الأمر فكان أن قدّم أبو بكر وعمر بن الخطاب يهنئانه ويقول كلّ منهما له :

- بخ بخ لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة!

وكانت التهاني والتبريكات من العالمين ومن السماء تتوالى من دون أي تهاون أو تأخير.

لقد جاء جبريل إلى الرسول محمّد ﷺ كما كان جاءه من قبل قليل ومن زمن وفي كلّ الأزمان. والآن جاءه ليلقي عليه تهنئة إلهية ومكرمة ربانية. جاءه يزفّ إليه البشرى والفلاح:

- ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا** ﴾[1].

فكان للسماء أن تبتهج بمثل هذا اليوم. كما كان للخلق أن يعيدوه وعداً عليهم، كما كان في التوراة والإنجيل مثله!

ولكن ما يحصل اليوم أنّه لأجلى، وأعظم ممّا كان عليه في التوراة

---

(١) المائدة (٥): ٣.

والإنجيل ؛ لإنّه اليوم يتجلّى في إكمـال الـشريعة وإنهـاء مرحلـة الـوحي وتنزيل وإنزال الكتاب!

ولقد عاد الناس إلى ديارهم يحملون وإيّاهم هدية السماء.

ها هم قد رحلوا إلى أوطانهم وأمصارهم كما شدّوا الرحال بـالأمس من عندها وانطلقوا إلى بيت الله الحرام. ها هـم الآن يعـودون مـن حيـث قصدوا، وها هم يرجعون وهم يعلمون أنّهم ما رجعوا بخفّي حنين ولا كـان لهم أن يقفلوا عائدين خالين الوفاض بـل متـرّعين بـالخيرات والبركـات. خيرات ولاية علي بن أبي طالب وبركات ولاية الأئمّـة المعـصومين مـن ولده حتّى قيام صاحب الأمر!

الفصل السادس

رواة حديث الغدير من الصحابة

روى حـديث الغـدير (١١٠) أشـخاص مـن الـصحابة، نـذكر أسماءهم هنا، ولمعرفة التفاصيل عنهم، راجع الغدير ١: ١٤ — ٦٠

(١)أبو هريرة الدوسي

(٢)أبو ليلى الأنصاري

(٣)أبو زينب بن عوف الأنصاري

(٤)أبو فضالة الأنصاري

(٥)أبو قدّامة الأنصاري

(٦)أبو عمرة بن عمرو بن محصن الأنصاري

(٧)أبو الهيثم بن التيهان

(٨)أبو رافع القبطي

(٩)أبو ذؤيب خويلد بن خالد بن محرث الهذلي

(١٠) الخليفة الأول أبو بكر بن أبي قحافة التيمي

(١١) أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي

(١٢) أُبي بن كعب الأنصاري الخزرجي

(١٣) أسعد بن زرارة الأنصاري

(١٤) أسماء بنت عميس الخثعمية

(١٥) أم سلمة

(١٦) أم هاني بنت أبي طالب

(١٧) أبو حمزة أنس بن مالك الأنصاري الخزرجي

(١٨) البراء بن عازب الأنصاري الأوسي

(١٩) بريدة بن الحصيب أبو سهل الأسلمي

(٢٠) أبو سعيد ثابت بن وديعة الأنصاري الخزرجي

(٢١) جابر بن سمرة بن جنادة أبو سليمان السوائي

(٢٢) جابر بن عبد الله الأنصاري

(٢٣) جبلة بن عمرو الأنصاري

(٢٤) جبير بن مطعم بن عدي القرشي النوفلي

(٢٥) جرير بن عبد الله بن جابر البجلي

(٢٦) أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري

(٢٧) أبو جنيدة جندع بن عمرو بن مازن الأنصاري

(٢٨) حبة بن جوين أبو قدامة العرني البجلي

(٢٩) حبشي بن جنادة السلولي

(٣٠) حبيب بن بديل بن ورقاء الخزاعي

(٣١) حذيفة بن أسيد أبو سريحة الغفاري

(٣٢) حذيفة بن اليمان اليماني

(٣٣) حسان بن ثابت

(٣٤) الإمام المجتبى الحسن عليه السلام

(٣٥) الإمام السبط الحسين الشهيد عليه السلام

(٣٦) أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري

(٣٧) أبو سليمان خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي

(٣٨) خزيمة بن ثابت الأنصاري

(٣٩) أبو شريح خويلد

(٤٠) رفاعة بن عبد المنذر الأنصاري

(٤١) الزبير بن العوام القرشي

(٤٢) زيد بن أرقم الأنصاري الخزرجي

(٤٣) أبو سعيد زيد بن ثابت

(٤٤) زيد (يزيد) بن شراحيل الأنصاري

(٤٥) زيد بن عبد الله الأنصاري

(٤٦) أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص

(٤٧) سعد بن جنادة العوفي

(٤٨) سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي

(٤٩) أبو سعيد سعد بن مالك الأنصاري الخدري

(٥٠) سعيد بن زيد القرشي العدوي

(٥١) سعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري

(٥٢) أبو عبد الله سلمان الفارسي

(٥٣) أبو مسلم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي

(٥٤) أبو سليمان سمرة بن جندب الفزاري

(٥٥) سهل بن حنيف الأنصاري الأوسي

(٥٦) أبــو العبّــاس ســهل بــن ســعد الأنــصاري الخزرجــي الساعدي

(٥٧) أبو إمامة الصدي ابن عجلان الباهلي

(٥٨) ضميرة الأسدي

(٥٩) طلحة بن عبيد الله التميمي

(٦٠) عامر بن عمير النميري

(٦١) عامر بن ليلى بن ضمرة

(٦٢) عامر بن ليلى الغفاري

(٦٣) أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي

(٦٤) عائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة

(٦٥) العبّاس بن عبد المطلب بن هاشم

(٦٦) عبد الرحمن بن عبد رب الأنصاري

(٦٧) أبو محمّد عبد الرحمن بن عوف القرشي الزهري

(٦٨) عبد الرحمن بن يعمر الديلي

(٦٩) عبد الله بن أبي عبد الأسد المخزومي

(٧٠) عبد الله بن بديل بن ورقاء سيّد خزاعة

(٧١) عبد الله بن بشير [بسر] المازني

(٧٢) عبد الله بن ثابت الأنصاري
(٧٣) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي
(٧٤) عبد الله بن حنطب القرشي المخزومي
(٧٥) عبد الله بن ربيعة
(٧٦) عبد الله بن عباس
(٧٧) عبد الله بن أبي أوفى علقمة الأسلمي
(٧٨) عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي
(٧٩) أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود الهذلي
(٨٠) عبد الله بن ياميل
(٨١) الخليفة الثالث عثمان بن عفان
(٨٢) عبيد بن عازب الأنصاري
(٨٣) أبو طريف عدي بن حاتم
(٨٤) عطية بن بشير [بسر] المازني
(٨٥) عقبة بن عامر الجهني
(٨٦) أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام
(٨٧) أبو اليقظان عمار بن ياسر العنسي
(٨٨) عمارة الخزرجي الأنصاري
(٨٩) عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي
(٩٠) الخليفة الثاني عمر بن الخطاب
(٩١) أبو نجيد عمران بن حصين الخزاعي

(٩٢) عمرو بن الحمق الخزاعي الكوفي

(٩٣) عمرو بن شراحيل

(٩٤) عمرو بن العاص

(٩٥) عمرو بن مرّة الجهني

(٩٦) الصديقة فاطمة بنت النبي الأعظم ﷺ

(٩٧) فاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب

(٩٨) قيس بن ثابت بن شمّاس الأنصاري

(٩٩) قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي

(١٠٠) أبو محمّد كعب بن عجرة الأنصاري المدني

(١٠١) أبو سليمان مالك بن الحويرث الليثي

(١٠٢) المقداد بن عمرو الكندي الزهري

(١٠٣) ناجيّة بن عمرو الخزاعي

(١٠٤) أبو برزة فضلة بن عتبة الأسلمي

(١٠٥) نعمان بن عجلان الأنصاري

(١٠٦) هاشم المرقال ابن عتبة بن أبي وقّاص الزهري

(١٠٧) أبو وسمة وحشي بن حرب الحبشي الحمصي

(١٠٨) وهب بن حمزة

(١٠٩) أبو جحيفة وهب بن عبد الله السوائي

(١١٠) أبو مرازم يعلى بن مرّة بن وهب الثقفي

خاتمة

مشكلة الغدير المعاصرة

أمّا مشكلتنا اليوم مع ذكرى الغدير العظمى ووحيه الأمثل ومصاديقه الأجلى هي ليست في مواجهة ظاهرة الغدير لفلسفة بقائها ودوامها وكيفيّة تواصلها حتّى مع أضدادها من القرائن المحاربة لأسسها إذ إنّ الأزمة الحالية تكاد تعبّر عن صدى أقوى من حيث إنّ الفكرة ما تزال تعبّر عن جدواها الصدوق في التعيين التاريخي غير الشامل لكلّ جذور المعضلة والتي لا تزال تقوم بكلّ أشكالها المتعدّدة، سيّما حينما تشتقّ لها صوراً أخرى تكاد تسحق كلّ ضياءات الإنسان حينما يجد أنّ الأزمة تتفاقم وتسابق كلّ آجالها غير الممكنة ذلك حين تعبّر عن صراع ذاتي يكاد يقترن بكلّ مساجلات الفعل الداخلي في النفس الواحدة من حيث تشابك الأنسجة الحياتية والتي تكاد تؤدّي بالإنسان إلى تواجد حيثي لابدّ وأن يرتبط به حتّى لو كان غير ممكن — كما لو كان يحسب أنّه يحسن صنعاً ويدعي الوصل بليلى

الغدير خصوصاً وأنّ مواصفات الزمان لها أن تعكس أجـزاء متكاملة من التصالب مع المنحى الشخصي للإنسان المعاصر

كيف؟

ومتى؟

لا يحدث مثل هذا إلّا حينما نجد وفي اليـوم أنّ مـشكلة الغدير تتفاقم جداً حينما نجد أنّ الـضغوط المتوجّهـة صـوب الغدير وذكراه وأسسه وقوانينه تكاد تتضاعف بمضاعفة الـشق والشرخ الحادثين في نفس الوجـود المـذهبي وذلـك حينمـا تتعارض آراء الفكر لدى نفس أصحاب المـذهب وعنـد ذات الشخوص الذين لا يُحـسبون علـى خـارج المـذهب وإنّمـا يفترض أن يحسبوا بالقوّة وبالفعـل علـى داخلياتـه الممكنـة وغير الممكنة!

فإن كان الغدير يتعرّض إلى محنة من خارج كلّ الحدود المأمونة دواخلها فإنّه ربّما تعرّض إلى شـبهات لا تـصدر إلّا من نفس بيته ومن نفـس رجـالات يمكـن أن يـضافوا إلـى مدافعين عنه سيّما حين يحدث الشتات في الفكـرة والـشقاق في داخل فكرة نفس المذهب الواحد وتتعدّد الآراء.

وهنا يقم التناحر الداخلي في واحد الغدير في زمن غيـر مأمون بل مأهول بكلّ العدائيّات الخارجية والمتربّـصة بهـذه

الولاية العظيمة التي يمكن أن تكتنز كلّ معاني النفس الغديرية في ذاتها الشخصية الخاصّة والعامّة والذاتية والمطلقة.

ثمّ الأكثر دهاء ومرارة لمثل هذا الـدهر الخـؤون هـو أن ينفث سمومه في شكل آخـر وذلـك حينمـا يتـسابق بعـض المحسوبين على المذهب من أجل أن يستثمروا مـواد علميـة بحتة لكي يعكسوا على أنفسهم هالة من الإشعاع سيّما حينما يتمّ الارتقاء بأساميهم وقتمـا يعلنـون عـن أزمـات تاريخيـة وفكرية تنال من نفس المذهب وموجـودة فـي نفـس أفكـار المذهب ليعبّر عنها الآخرين باسم شبهات لـم يثرهـا أعـداء المذهب بل أثارها أناس ممّن يحسبون على نفـس المـذهب وينتمون إلى يوم الغدير ويؤرّخون لولاداتهم الحقيقية في يوم الغدير!

نتمنّى من الله العزيز الجبار والرحمن الـرحيم أن يهـدينا لأحسن من هذا رشداً، وأن يصلح بين قلوب المسلمين كافّة ، وأن يجعل من مناسبة يوم الغدير فرصـة للتـآخي بـين كافّـة الإخوة في الدين من جميع المذاهب الإسلامية وفّقنا الله لخير الإنسانية جمعاء ، إنّه هو السميع العليم.

تمّ الكتاب بعونه تعالى

- السيد جمال محمّد صالح
- ولد سنة ١٩٦٢م في العراق
- نشأ في أسرة حنفية المذهب ، ثم دفعه البحث إلى تغيير انتمائه المذهبي واعتناق مذهب أهل البيت عليهم السلام عام ١٩٨٧م .
- حاصل على شهادة البكالوريوس في الآداب .

مؤلفاته :

- غضبة الفلاسفة ـ طبع سنة ١٩٩٩م
- شمس وراء السحاب ـ طبع سنة ٢٠٠٦م
- وانقضت أوهام العمر ـ طبع سنة ٢٠٠٧م

وله في صعيد الترجمة من اللغة الفارسية الى اللغة العربية :

- موجز مبادئ الاقتصاد الإسلامي ، تأليف : سيد عربي
- معالم النفاق في القرآن الكريم ، تأليف : أحمد خاتمي



مركز الأبحاث العقائدية